شرح عقيدة السلف
و
أصحاب الحديث

لأبي عثمان الصابوني

شرح فضيلة :

أ . د / الدكتور : خالد بن علي المشيقح

ملاحظة : هذه المذكرة لم تراجع من قبل الشيخ

[ترجمة صاحب المتن ، الإمام الصابوني رحمه الله]

نسبه :

هو أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عامر بن عابد الصابوني النيسابوري الحافظ المفسر المحدِّث الفقيه الواعظ الملقب بشيخ الإسلام.

وأما لفظ (الصابوني) فقد ذكر السمعاني في كتاب (الأنساب) أنه نسبة إلى عمل الصابون .وقال: (وبيت كبير بنيسابور (الصابونية) لعل بعض أجدادهم عمل الصابون فعرفوا به).

حياته :

ولد في بوشنج – من نواحي هراة – في النصف من جمادي الآخرة سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة من الهجرة.

وصفه عبد الغافر الفارسي بأنه : (الإمام شيخ الإسلام الخطيب المفسر المحدِّث الواعظ أوحد وقته في طريقته. وعظ المسلمين في مجالس التذكير سبعين سنة، وخطب وصلَّى في الجامع – يعني بنيسابور- نحواً من عشرين سنة).

وقال: (كان أكثر أهل العصر من المشايخ سماعاً وحفظاً ونشراً لمسموعاته وتصنيفاته وجمعاً وتحريضاً على السماع وإقامة لمجالس الحديث . سمع الحديث بسرخس وبهراة وبالشام وبالحجاز، وبالجبال، وأحدث بكثير من البلاد أكثر الناس السماع منه) أ.هـــ

وقد ذكر السيوطي والداوودي في كتابيهما (طبقات المفسرين) وأوردا أنه أقام شهراً في تفسير آية. وهذا يدل على سعة علمه في تفسير القرآن الكريم.

شيوخه :

للصابوني – رحمه الله – مشايخ كثيرون أخذ عنهم الحديث والآثار والأحكام وسائر فنون العلم. ولعل أبرزهم أستاذه الحاكم أبو عبد الله الحافظ النيسابوري إمام أهل الحديث في عصره وصاحب كتاب (المستدرك على الصحيحين) وغيره من المصنفات ، وقد روى عنه الصابوني كثيراً في كتابه (عقيدة السلف وأصحاب الحديث).

ومنهم أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة.

ومحدث نيسابور أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المخلدي الشيباني

وأبو الحسين أحمد بن محمد بن عمر الزاهد.

تلامذته :

ومن تلامذته : أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أحمد بن أبي العلاء السلمي المصيصي الفقيه الشافعي ، كان مسنداً في الحديث ،وكان فقيهاً ثقة.

وأبو صالح المؤذن أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد النيسابوري الحافظ.

وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد التميمي الدمشقي الكتَّاني الإمام المحدث المتقن.

مؤلفاته :

ومن مؤلفاته كتاب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) ، والأربعون حديثاً وكتاب (المائتين) حديثاً وكتاب الدعوات.

عقيدته ومذهبه :

والمؤلف الصابوني متبع لرأي أهل الحديث والسنة من السلف الصالح ، فهو سلفي العقيدة . وأبرز دليل على هذا كتابه (عقيدة السلف وأصحاب الحديث).

وأما مذهبه في الفروع : فالذي يظهر أنه شافعي المذهب لما يأتي:

١- ورود ترجمته في طبقات الشافعية ، و لم أجده مترجماً في طبقات المذاهب الأخرى.

٢- ممن نص على مذهب هذا من العلماء: المؤلف ابن عماد الحنبلي في كتابه شذرات الذهب.

٣- المؤلف عندما استعرض في كتابه هذا عدداً من الأئمة المقتدى بهم ذكر في مقدمتهم الإمام الشافعي مع الثناء عليه ومدحه.

ثناء العلماء عليه :

قال فيه أبوبكر البيهقي وهو من أقرانه: (إنه إمام المسلمين حقاً وشيخ الإسلام صدقاً ، وأهل عصره كلهم مذعنون لعلو شأنه في الدين والسيادة وحسن الاعتقاد وكثرة العلم ولزوم طريقة السلف).

وقال القاضي أبو عبد الله المالكي: (أبو عثمان الصابوني ممن شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير وغيرهما).

وقال ابن ناصر الدين :(كان إماماً حافظاً عمدة مقدماً في الوعظ والأدب وغيرهما من العلوم وحفظة للحديث وتفسير القرآن).

وفاته :

توفي أبو عثمان الصابوني بنيسابور ، عصر يوم الخميس الثالث من شهر محرم سنة تسع وأربعين وأربعمائة من الهجرة بعد مرض أصابه. [1]

[مميزات هذه العقيدة]

تتميز هذه العقيدة بمميزات منها :

أولاً : أن المؤلف – رحمه الله – كان زمنه قديماً .

ثانياً : أنه – رحمه الله – كتبها بأسلوب علمي سهل واضح.

ثالثاً : أنه – رحمه الله – يذكر المسألة وغالباً ما يذكر الدليل عليها من الآثار.

رابعاً: أن المؤلف أحياناً يذكر الدليل بالسند سواء كان من آثار الصحابة أو من الأحاديث النبوية.

خامساً: أنك تجد في هذه العقيدة كلمات جميلة للسلف من ثناء بعضهم على بعض كالثناء على الإمام أحمد – رحمه الله – وغيره من أئمة أهل السنة والجماعة.

وكذلك نقل اعتقادات السلف الصالح وما يعتقده فلان فلان ... إلخ.. من هذه المسائل التي أوردها ففيها بيان لمعتقدات أهل السنة والجماعة والسلف الصالح ولهذا تجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ينقلون عن هذه العقيدة ،وهذا يدل على عظم مكانتها عند العلماء ، بل عند العلماء المحققين كابن تيمية وابن القيم.

وأما بالنسبة لسبب تأليف هذه العقيدة فذكره المؤلف – رحمه الله – وسيأتي بيان ذلك أثناء قراءة هذا المتن .

---

[1] واستقيت سيرة هذا الإمام بتصرف واختصار من كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، تحقيق الدكتور / ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع. حيث ترجم له الدكتور في بداية تحقيقه للكتاب .انظر ترجمته ص٢٣ إلى ص٤٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

[ربِّ يسِّر وأعن بفضلك ورحمتك.

أخبرنا قاضي القضاة بدمشق نظام الدين عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح الصالحي الحنبلي إجازة مشافهة ، أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسي إجازة إن لم يكن سماعاً ، أخبرنا الشيخان : جمال الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عمر بن شكر ، وأبو عبد الله محمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسيين، سماعاً، أن أبو الفتح عبد الله بن أحمد الخرقي إجازة، وقال الثاني : أن أحمد بن عبد الدائم. وأخبرنا المحدث تاج الدين محمد بن الحافظ عماد الدين إسماعيل بن محمد بن بردس البعلي في كتابه ، أن أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن الخَبَّاز شفاهاً، أخبرنا أحمد بن عبد الدائم إجازة إن لم يكن سماعاً، أن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي، أن الخرقي سماعاً،أن أبو بكر عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني ، ثنا والدي شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن فذكره.

وأخبرنا قاضي القضاة عزالدين عبد الرحيم بن محمد بن الفرات الحنفي إجازة مشافهة، أن محمود بن خليفة بن محمد بن خلف المنبجي إجازة، أن الجمال عبد الرحمن بن أحمد بن عمر بن شكر بسنده قال: الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد: فإني لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان، متوجهاً إلى بيت الله الحرام ، وزيارة[٢] قبر نبيه محمد – صلى الله عليه وآله وأصحابه الكرام – سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين...

---

[٢] لعله يقصد السفر إلى مسجد الرسول ﷺ ، فإن بعض العلماء يسمونه السفر لزيارة القبر. فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن طائفة من العلماء يسمون السفر للصلاة في المسجد زيارة لقبره ويقولون : تستحب زيارة قبره ، أو السفر لزيارة قبره، ومقصودهم بالزيارة هو السفر إلى مسجده ، وأن يفعل في مسجده ما يشرع من الصلاة والسلام عليه، والدعاء له والثناء عليه. (مجموع الفتاوى ٢٧/٢٤٦ بتصرف).

وأما السفر لمجرد زيارة القبر فغير مشروع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: السفر إلى غير المساجد الثلاثة من قبر، أو أثر = نبي ومسجد وغير ذلك: " ليس بواجب ولا مستحب بالنص والإجماع ، والسفر إلى مسجد نبينا ﷺ مستحب بالنص والإجماع، وهو مراد العلماء الذين قالوا: تستحب زيارة قبره بالإجماع ، فهذا هو الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم من المجتهدين ". راجع مجموع الفتاوى ٢٧/٢٥٢ وما بعدها.

قوله: [بسم الله الرحمن الرحيم]

ابتدأ المؤلف – رحمه الله – كتابه بالبسملة اقتداء بكتاب الله عز وجل – فإن كتاب الله مبدوء بالبسملة وثانياً: اقتداء بالنبي ﷺ فقد كان يبدأ كتبه بالبسملة.

وقوله [باسم الله] شرح البسملة تقدم لنا لكن نأخذه على سبيل الإجمال.

بسم : الباء حرف جر . واسم : اسم مجرور ،وحذف الألف لكثرة الاستعمال.

والجار والمجرور متعلق بمحذوف فعل مؤخر يقدَّر بما يناسب المقام ، مقدَّر المتعلّق فعلاً ؛ لأنن الأصل في الأعمال الأفعال ،وقدِّر مؤخراً لأمرين:

الأول : التبرك بالبداءة باسم الله عز وجل. والثاني: الحصر. لأن تأخير ما حقه التقديم يفيد الحصر.

وقدِّر مناسباً للمقام ؛ لأنه أدلَّ على المراد ، فأنت إذا أردت أن تقرأ تقول: باسم الله ،والتقدير: بسم الله أقرأ ، وهذا أولى من تقديره بسم الله أفعل.

وإذا أردت أن تذبح تقول: بسم الله ، والتقدير باسم الله أذبح ، وهذا أولى من تقديره بسم الله أفعل ... إلخ.

والباء للاستعانة أو للمصاحبة.

والله : أصلها الإله ، حذفت الهمزة وأدغمت اللام في اللام فقيل الله.

والله : ذو الألوهية والربوبية على خلقه أجمعين وهو اسم خاص بالله عز وجل.

والرحمن: أي : ذو الرحمة الواسعة ، وهو اسم خاص بالله عز وجل.

والرحيم: ذو الرحمة الواصلة.

صُدرت به هذه الرسالة من أسانيد الكتاب ، ليست من وضع المؤلف وإنما من وضع الذين رووا هذه الرسالة عن المؤلف ، فهذه الأسانيد جاءت بعد المؤلف، فتناقلها الرواة مع الرسالة حتى دوّنت هكذا.

وقوله : [الحمد لله] الألف واللام للاستحقاق والاستغراق،والحمد: هو وصف المحمود بصفات الكمال محبة وتعظيماً، واختلف أهل العلم في ذلك لكن هذا من أحسن ما قيل ، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم .

لله : سبق شرحها.

وقوله : [رب العالمين] إذا اجتمع لفظ الربوبية مع لفظ الألوهية، فإن لفظ الرب يفسر بتوحيد الربوبية ، ولفظ الجلالة يفسر بتوحيد الألوهية.

وقوله: رب العالمين: أي : ذو الربوبية على خلقه أجمعين، أي: المالك الخالق المتصرف.

أما إذا انفردا فإنهما يجتمعان، فإذا قيل : الله ، و لم يقرن معه لفظ الربوبية يكون المراد ذو الألوهية والربوبية على خلقه أجمعين، وإذا قيل: رب ، و لم يقرن معه لفظ الجلالة فإنه يقال ذو الألوهية والربوبية على خلقه أجمعين.

وقوله: العالمين: جمع عالم وهم كل من سوى الله عز وجل.

وقوله: [والعاقبة للمتقين] النصر والتمكين والسعادة والفلاح تكون للمتقين في الدنيا والآخرة.

والمتقون: جمع متقٍّ. والتقوى فسرت بتفاسير كثيرة لكن من أشهرها أنها فعل الأوامر واجتناب النواهي، أي: اتقاء عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

وقوله : [وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين]

أحسن ما قيل في تعريف الصلاة هو ما ذكره أبو العالية ، كما نقله البخاري

[هي ثناء الله على عبده في الملأ الأعلى]

قوله: آله. قيل: بأنهم أتباعه على دينه وقيل: بأنهم قرابته المؤمنون به.

والصواب أنه يختلف بحسب سياقات الكلام: فإذا قيل : اللهم صلِّ على محمد وآله وأتباعه، فسر الآل هنا بأنهم قرابته المؤمنون به.

وأذا قيل : اللهم صل على محمد وآله ، فسر أن المراد به أتباعه على دينه.

قوله: وصحبه. جمع صاحب .والصحابي: هو كل من رأى النبي ﷺ ومات مؤمناً به

وقوله : [أما بعد]

تقدم لنا تفسيرها وإعرابها، ومن أول من قال بها، وما الغرض منها، وذكرنا كلام أهل العلم رحمهم الله، فبعضهم قال: الغرض منها أنه يؤتى بها للانتقال من اسلوب إلى أسلوب آخر.وقال بعضهم: إن الغرض منها الانتقال من المقدمة إلى صلب الموضوع وهذا القول هو الأقرب.

ومثل هذه المقدمة تقدمت لنا كثيراً.

وقوله :[فإني لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان، متوجهةً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين]

هنا بين المؤلف – رحمه الله – سبب تأليفه لهذه الرسالة ، وهكذا العلماء – رحمهم الله – يذكرون في مقدمات تأليفهم الأسباب التي دعتهم إلى التأليف، ويذكرون فيها أيضاً طريقة تأليفهم ، ويذكرون أيضاً موضوع الرسالة.

فأصبحت المقدمة تشتمل بعد الخطبة على ثلاثة أشياء ، وهذه يتنبه إليها من أراد أن يؤلف أو يكتب :

الأول : الأسباب التي دعتك إلى الكتابة في مثل هذا الموضوع.

الثاني : موضوع الكتاب .

الثالث: طريقة التأليف.

وبعضهم يزيد بيان أهمية الكتابة في هذا الموضوع ، فتكون هناك أسباب أربعة يذكرها الكاتب أو المؤلف في مقدمة كتابه .

وقوله : [لما وردت آمداً طبرستان وبلاد جيلان]

هذه في إيران جهة الشرق .

قوله : [متوجهاً إلى بيت الله الحرام وزيادة قبر نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام]

ش:قوله: زيارة قبر نبيه محمد ﷺ هذه العبارة فيها نظر ، فإن شد الرحال إلى القبور ليس مشروعاً؛ بل هو بدعة ؛ لأن الرحال لا تشد إلا إلى ثلاثة مساجد. لكن يجاب عن كلام المؤلف – رحمه الله – فيقال: بأن بعض العلماء يقصد بقوله : الزيارة قبر النبي ﷺ زيارة المسجد النبوي وقد نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – وهذا هو المظنون بهذا العالم الذي ألف هذه الرسالة في معتقد أهل السنة والجماعة وإلا فإن قوله: (زيارة قبر النبي ﷺ، فيه نظر، والصواب في العبارة أن يقول: (وزيارة المسجد النبوي) فإن هذا هو الذي يشرع.

وقوله: [سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين ...]

ش: تلخص أن سبب تأليفه لهذه الرسالة ؛ أن بعض إخوانه في الدين سألوه أن يجمع لهم فصولاً في أصول الدين.

وأما موضوع الرسالة فبينه بقوله: **[أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين]** فتلخص أن موضوعها هو أصول الدين أي: ما يتعلق بالعقائد التي عليها أهل السنة والجماعة.

قوله: [التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين ، وهدوا ودعوا الناس إليها في كل حين، ونهوا عما يضادها وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين، ووالوا في

اتباعها، وعادوا فيها، وبدّعوا وكفروا من اعتقد غيرها، وأحرزوا لأنفسهم ولمن دعوهم إليها بركتها وخيرها، وأفضوا إلى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها، واستمساكهم بها، وإرشاد العباد إليها وحملهم إياهم عليها، فاستخرت الله تعالى، وأثبت في هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار، رجاء أن ينتفع به أولوا الألباب والأبصار ، والله سبحانه يحقق الظن، ويجزل علينا المنّ ، بالتوفيق والاستقامة على سبيل الرشد والحق بمنه وفضله]

قوله: [السلف الصالحين]

ش: الصالحين جمع صالح ، والصالح هو : من قام بحق الله وحق عباد الله.

والمراد بالسلف : ما كان عليه الصحابة – رضي الله عنهم – وأتباعهم: ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، فأراد المؤلف – رحمه الله – أن يبين جملاً في عقائد السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم إلى يوم الدين.

وقوله :[بدَّعوا وكفروا من اعتقد غيرها]

ش: هذا فيه نظر ،وقصد المؤلف ليس في كل شيء وإنما في الجملة، كما تقدم لنا في القدرية وأن الصحابة - رضي الله تعالى عنهم – صاحوا بغلاة القدرية الذين ينكرون مرتبة العلم ومرتبة الكتابة وكفروهم كابن عمر وابن عباس وأبي سعيد وواثلة.

فقوله : بدعوا وكفروا. هذا ليس بالجملة ،أي: ليس كل من خالف هذه العقائد التي ذكرها المؤلف – رحمه الله – مبتدع أو كافر؛ ولهذا تقدم لنا في الواسطية أن السلف اختلفوا في بعض العقائد، هل الميزان واحد أو متعدد؟ ومتى يكون الحوض؟

فنقول: بأن قوله بدعوا وكفروا ،هذا ليس بالجملة ، أي: ليس في كل هذه العقائد وإنما من الجملة ، فبعضها من خالفها استحق البدعة كما سيأتينا في مخالفة الجهمية والمعتزلة والخوارج وقد يستحق التكفير كما كفر الصحابة – رضي الله عنهم – غلاة القدرية . وهذا هو قصد المؤلف – رحمه الله –.

وقوله:[وأحرزوا لأنفسهم ولمن دعوهم إليها بركتها وخيرها، وأفضوا إلى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها، واستمساكهم بها، وإرشاد العباد إليها وحملهم وحثهم إياهم عليها ، فاستخرت الله تعالى، وأثبت في هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار، رجاء أن ينتفع به أولوا الألباب والأبصار ، والله سبحانه يحقق الظن ، ويجزل علينا المن، بالتوفيق والاستقامة على سبيل الرشد والحق.بمنه وفضله]

ش: في هذه الجمل التي ذكرها المؤلف – رحمه الله – الثناء على السلف – رحمهم الله – فيما يتعلق بعقيدتهم التي جاء بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن السلف قالوا وعادوا في اتباعها، وأنهم أيضاً كفروا

من استحق التكفير وبدعوا من استحق التبديع وأهم أحرزوا البركة باتباع الكتاب والسنة في هذه العقيدة ، وأفضوا إلى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها واستمساكهم بها وإرشاد العباد.

وكذلك بين المؤلف – رحمه الله – تأليفه لهذه العقيدة أنه على سبيل الاختصار، وهو كذلك ، فلم يطل في هذه العقيدة ، وإنما بين مذهب أهل السنة والجماعة ، ويستدل على سبيل الاختصار، ويبين أقوال أهل البدع أيضا على سبيل الاختصار كما سيأتي.

والمختصر : هو ما قلَّ لفظه وكثر معناه .

قلت وبالله التوفيق:[أصحاب الحديث – حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم – يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به ، ونقلت العدول الثقات عنه ، ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبت لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ].

المراد بأهل الحديث هنا ، ليس المراد بهم أهل الحديث بالاصطلاح الخاص – الذين عنوا بالحديث بنقله وكتابته، ورواتبه، والنظر في رواته،من حيث العدالة والضبط – ليس هذا هو المراد، إنما المراد بأهل الحديث : السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم إلى يوم الدين، الذين أخذوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيما يتعلق بالعقائد والعمليات.

وقوله : [حفظ الله تعالى أحياءهم ورحم أمواتهم]

ش: في هذا الدعاء للسلف الصالح، وهكذا مرّ علينا في الواسطية أن شيخ الإسلام ابن تيمية ذكر عن السلف أنهم يدعون لمن سبقهم بالإيمان، والله عز وجل أثنى على من دعا : فقال سبحانه:﴿ **وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾

وفي هذا التأدب مع السلف الصالح ، والدعاء لهم، والترحم عليهم ،وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يعظم أسلافه ، وأن يجلهم، وأن يقدرهم، وأن يثني عليهم وأن يدعو لهم وأن يترحم عليهم ، وذكر العلماء – رحمهم الله – أن تعظيم الأسلاف ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول : تعظيمهم بالاحترام ، والتقدير ،والدعاء، والثناء ، والإفادة من علمهم وهديهم وأخلاقهم ، فهذا مشروع.

القسم الثاني : تعظيمهم بصرف نوع من أنواع العبادة لهم ، أو دعاؤهم وتعظيمهم تعظيماً بدعياً ، أو شركياً، فإن هذا محظور. كما يفعل أرباب الصوفية والخرافة والقبوريون الذين يعظمون الأسلاف حيث يدعونهم من دون الله عز وجل، أو يصرفون لهم نوعاً من أنواع العبادة أو يطلبون منهم كشف الضر أو جلب النفع أو غير ذلك من الأشياء المعروفة . ومثل ذلك تعظيم علي – رضي الله عنه – عند الرافضة ، فمنهم من يجعله إلهاً ، ومنهم من يدعي أنه رسولاً، ومنهم من يدعي أنه أفضل من أبي بكر وعمر، فهذا تعظيم إما شركي وإما بدعي .

قوله: [يشهدون لله تعالى بالوحدانية]

ش: بدأ الشيخ – رحمه الله – فيما يتعلق بالشهادتين ،ولا شك أن الشهادتين هما أصل الدين ، ففي حديث ابن عمر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ :

[بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله] وحديث ابن عباس في بعث معاذ إلى اليمن، قال له رسول الله ﷺ:[إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله] وأيضاً قول النبي – عليه الصلاة والسلام –[أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله] والأحاديث في هذا كثيرة جداً.

قوله : بالوحدانية.

ش: التوحيد : هو مصدر وحد يوحد توحيداً وهو : جعل الشيء واحداً والتوحيد اصطلاحاً : إفراد الله عز وجل بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

وعلى هذا ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: توحيد الألوهية وهو: إفراد الله عز وجل بالعبادة.

القسم الثاني : توحيد الربوبية وهو : إفراد الله عز وجل بما يختص به من الملك والخلق والتدبير.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو: إفراد الله عز وجل بما يختص به من الأسماء والصفات وإثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

قوله: [وللرسول ﷺ - بالرسالة والنبوة]

ش: تقدمت الأدلة على ذلك،وشهادة أن محمداً رسول الله - ﷺ - كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله -: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع . فهذا فيه تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ، وكما قال أيضاً: عبد لا يعبد ، ورسول لا يكذب.

قوله: [ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله - ﷺ - على ما وردت الأخبار الصحاح بهِ، ونقلت العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله -ﷺ-]

ش: لما ذكر ما يتعلق بالوحدانية ، شرع الشيخ – رحمه الله – فيما يتعلق بإثبات الصفات ؛ لأن إثبات الصفات يخالف فيها المعتزلة والجهمية والأشعرية وغير ذلك من أرباب البدع ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

ومذهب أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالأسماء والصفات : أنهم يثبتون لله عز وجل ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله -ﷺ- من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

قوله :[ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون: إنه خلق آدم بيديه ، كما نص سبحانه عليه في قوله عزّ من قائل:﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[٣] ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين ، تحريف المعتزلة والجهمية أهلكهم الله ولا يكيفونهما بكيف، أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين، تشبيه المشبهة خذلهم الله]

ش: المشبهة هم الذين يعتقدون أن صفات الخالق كصفات المخلوق، هؤلاء هم المشبهة؛ ولذلك أهل البدعة يسمون أهل السنة مشبهة لأنهم يثبتون الصفات ،ويسمونهم مجسمة لأنهم يثبتون الصفات وهذه الصفات تقتضي – على زعمهم – أن تكون جسماً والجسم منفي عن الله عز وجل ، فالمشبهة هم الذين يثبتون لله صفات كصفات المخلوق، فيقولون له يدٌ كأيدينا ووجه كوجوهنا ، تعالى الله عز وجل عما يقولون ؛ ولهذا قال الشيخ: ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه.

---

(٣) سورة ص : الآية ٧٥ .

قوله :[لا يحرفون الكلم عن مواضعه]

ش: التحريف لغة : التغيير . واصطلاحاً : ذكر ابن القيم رحمه الله أنه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تحريف اللفظ.

القسم الثاني :تحريف المعنى .

أما تحريف اللفظ : فهو تغيير صورة اللفظ.وذلك بالعدول باللفظ إلى غيره إما بالزيادة أو بالنقص أو بتغيير حركة إعرابية أو غير إعرابية.

مثال ذلك: قوله تعالى:﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ حُرِّف ذلك إلى قوله:﴿وكلم اللهَ موسى تكليماً﴾ بنصب لفظ الجلالة.

وأما تحريف المعنى : فيكون بتأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلاً فاسداً غير ما دلت عليه، وهذا كما ذكر المؤلف– رحمه الله – كحمل اليدين في قوله تعالى:﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ حملها على النعمتين.

قوله: [تحريف المعتزلة والجهمية].

ش: المعتزلة فرقة ظهرت في زمن التابعين – رضي الله تعالى عنهم – وكان سبب ظهورها أن واصل بن عطاء كان يجلس في حلقة الحسن البصري، ثم بعد ذلك ذكر – أول ما أظهر بدعته – أن الفاسق في منزلة بين منزلتين في الدنيا، وفي الآخرة خالد مخلد في النار ، خلافاً لمذهب أهل السنة والجماعة فمذهبهم أن الفاسق مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، وأنه لا يخرج عن الإيمان بفسقه، فلما أظهر بدعته طرده الحسن البصري، فاعتزل مجلسه إلى مجلس مستقل، وانضم إليه عمرو بن عبيد وظهرت هذه الفرقة وصار لها أتباع ومعتقدات ، فمن معتقداتها ما يتعلق بالفاسق ، ومنها ما يتعلق بكلام الله عز وجل كما سيأتينا إن شاء الله،ومن معتقداتها ما يتعلق بالقرآن ، ومنها ما يتعلق بالقدر، ومنها ما يتعلق باليوم الآخر والإيمان به وما يكون فيه.

قوله : الجهمية.

ش: الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان ، والجهم بن صفوان تقدم لنا أنه أخذ بدعته عن الجعد بن درهم والجعد بن درهم أخذها عن أبان بن سمعان وأبان أخذها عن طالوت وطالوت أخذها عن لبيد الذي سحر النبي ﷺ فأصلها اليهود.

والجهمية هؤلاء لهم معتقدات تتعلق بأسماء الله وصفاته وهم ينفونها ولهم معتقدات فيما يتعلق بالإيمان فيرون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وأنه مجرد المعرفة ، و لم معتقدات فيما يتعلق بالقدر، وفيما يتعلق باليوم الآخر كما سيأتي بيان شيء من ذلك.

قوله :[لا يكيفونهما].

ش: يعني : لا يسألون عن كيفية الصفة وكنهها، كما هو فعل المشبهة الذين يقولون بأن صفات الله تشبه صفات المخلوق، ولهذا أهل البدعة يسمون أهل السنة مشبهة ويسمونهم مجسمة ؛لإثباتهم الصفات. فهم أصلوا أن إثبات الصفات يقتضي التشبيه،ولا يلزم من كون الإنسان موصوفاً بصفة، يشاركه غيره في هذه الصفة في الاسم ، أن تكون الصفتان متفقتان في الحقيقة. فمثلاً: الإنسان له يد والنملة لها يد، وليست يد النملة كيد الإنسان.

قوله : [وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتشبيه والتكييف، ومنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم ، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتتريه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه،واتبعوا قول الله عز وجل:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[٤] وكما ورد القرآن بذكر اليدين في قوله :﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[٥] ، وقوله، وقوله :

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[٦] ، وردت الأخبار الصحاح عن رسول الله ﷺ بذكر اليد كخبر محاجة موسى آدم وقوله له [خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته][٧] ، ومثل قوله ﷺ:[لا

---

(٤) سورة الشورى : الآية ١١.

(٥) سورة ص : الآية ٧٥ .

(٦) سورة المائدة : الآية ٦٤ .

(٧) سيأتي تخريجه.

أجعل صالح ذرية من خلقته بيدي كمن قلت له كن فكان] [٨] **وقوله ﷺ : [خلق الله الفردوس بيده]** [٩]

ش:

قوله : [أهل السنة]

هم المتمسكون بسنة النبي ﷺ ما عليه الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – من إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

قوله: [من التحريف والتشبيه والتكييف]

ش: التحريف تقدم أنه ينقسم إلى قسمين : تحريف اللفظ وتحريف المعنى. والتشبيه أيضا تقدم وأن التشبيه هو تشبيه صفات الخالق بالمخلوق.

والتكييف: إثبات كنه الصفة وكيفيتها، بأن يقول : صفة اليد لله عز وجل هي كذا وكذا.

الفرق بين التكييف والتمثيل:

والفرق بين التكييف والتمثيل: أن التكييف إذا قرن بمماثل فهو تمثيل وإذا لم يقرن بمماثل فهو تكييف.

مثال التكييف إذا قرن بمماثل: يقال يد الله عز وجل مثل كيفية يد فلان فهذا تمثيل لكن إذا قيل : كيفية يد الله هي كذا وكذا دون أن تقرن بمماثل فهذا ليس تمثيلاً وإنما هو تكييفاً.

فعندنا التكييف هو بيان كيفية الصفة وكنهها، بخلاف التمثيل فهو التكييف لكن مع قرنه بمماثل.

قوله: [سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه]

---

[٨] أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات (٤٦/٢، طبعة دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ) والديلمي في الفردوس٤٢١/٣ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ورواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر رضي الله عنهما (انظر كنز العمال ١٩١/١٢ ، ١٩٢)، وقد جاء في أول هذا الحديث: أن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون،ويركبون ويلبسون،ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة! قال: لا أجعل ... إلخ.

[٩] أخرجه الدارقطني في الصفات ص٤٥ ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٧/٢ طبعة دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ) عن الحارث بن نوفل بلفظ (إن الله عز وجل خلق ثلاثة أشياء بيده : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده).

ش: التوحيد هو إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات مع تنزيه الله عز وجل أن يكون مشابهاً للمخلوق في صفاته وأسمائه فيثبتون ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ بلا تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل فهم يثبتون لله عز وجل صفات الكمال والأسماء الحسنى.

قوله: [تركوا القول بالتعطيل]

ش: التعطيل لغة هو : التخلية. واصطلاحاً: ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تعطيل الصانع من صانعه، كتعطيل الفلاسفة الذين زعموا قِدَم المخلوقات وأنها تتصرف بطبيعتها.

القسم الثاني: تعطيل الصانع من كماله المقدس، وذلك بتعطيل أسمائه وصفاته كما فعل الجهمية والمعتزلة وأهل البدعة من الأشاعرة وغيرهم.

القسم الثالث: تعطيل معاملة الصانع وذلك بترك عبادته أو بعبادة غيره معه.

قوله: [واتبعوا قول الله عز وجل: ﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾]

ش: نفي مجمل. هذا مذهب أهل السنة والجماعة، النفي المجمل والإثبات المفصل.

[ليس كمثله شيء] فالله عز وجل ليس كمثله شيء في صفاته وفي أسمائه وفي ربوبيته وفي ألوهيته .

وإثبات مفصّل [وهو السميع البصير].

قوله : [وكما ورد القرآن بذكر اليدين في قوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ،وقوله:﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء ﴾ ، وردت الأخبار الصحاح عن رسول الله ﷺ بذكر اليد كخبر محاجة موسى آدم وقوله له : [خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته] ، ومثل قوله ﷺ: [لا أجعل صالح ذرية من خلقته بيدي كمن قلت له كن فكان] .وقوله ﷺ: [خلق الله الفردوس بيده] .

ش: بالنسبة لليدين فقد وردت اليد بالإفراد ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ ووردت أيضاً بلفظ التثنية كقوله تعالى:﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ووردت بلفظ الجمع كما في قوله تعالى: ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ ويجمع بينهما، بأن مذهب أهل السنة والجماعة إثبات يدين لله عز وجل اثنتين، تليقان بجلاله

وعظمته، وأما الجمع فالجواب عنه أن المراد به التعظيم، وأما الإفراد فنقول بأن المفرد المضاف يعمّ، فقوله: [بيده] يشمل الواحدة والاثنتين. فمذهب أهل السنة والجماعة أنهم يثبتون يدين لله عز وجل اثنتين تليقان بجلاله وعظمته موصوفتين بصفات: القبض والبسط وأنهما سحاء الليل والنهار كما ورد في النصوص وكلتا يدي الله سبحانه يمين وما ورد من لفظ الشمال فهو شاذ، هذا الأقرب .

والله سبحانه خلق ثلاثة أشياء بيده: كتب التوراة بيده ،وغرس الفردوس بيده، وخلق آدم بيده ، كما ورد في الحديث .

قوله:[وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزّة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحب والبغض والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين] .

ش:

قوله:[وكذلك يقولون في جميع الصفات]

صفات الله عز وجل تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: صفات ذاتية القسم الثاني: صفات فعلية.

فأما الصفات الذاتية فهي التي لم يزل ولا يزال الله عز وجل متصفاً بها.

والصفات الذاتية تنقسم إلى قسمين:

أ- معنوية: وهي التي لا تنفك عن الله عز وجل، لم يزل ولا يزال الله عز وجل متصفاً بها.

ب- خبرية : وهي التي بالنسبة لنا أبعاض وأجزاء مثل : صفة اليد والأصبع والوجه لكن هذا لا يقال بالنسبة لله عز جل .

القسم الثاني: صفات فعلية ز وهي المتعلقة بمشيئة الله وإرادته تبعاً لحكمته، فإذا شاء سبحانه وتعالى فعلها وإذا لم يشأ لم يفعلها، تبعاً لحكمته ، مثل الكلام والنزول إلى السماء الدنيا : مثل : المجيء ، الإتيان ، الاستواء، هذه من الصفات الفعلية.

قوله : [من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزّة..]هذه كلها من الصفات الثابتة لله عز وجل ،وأدلتها ظاهرة في الكتاب السنة ولا حاجة أن نذكر الأدلة عليها فالأدلة ظاهرة للجميع، فمثلاً السمع والبصر قول الله عز وجل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فيه إثبات صفة السمع

وصفة البصر والوجه ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ والعلم ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ والقوة كما في قول الله عز وجل في آخر سورة الذاريات﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ .

قوله [بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله ﷺ من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ، ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر يستنكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرُّون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى:﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[10]].

ش:

التشبيه : هو تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوقين، والتمثيل: هو تمثيل صفات الخالق بصفات المخلوقين، والتكييف هو حكاية كنه الصفة . فإذا قرن التشبيه بمماثل فهذا تمثيل، وإذا لم يقرن بمماثل فهذا تكييف.

ونفي التمثيل أولى من نفي التشبيه ؛ لأن هذا هو الذي ورد في القرآن؛ فإن الله عز وجل قال :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فالأولى اتباع ما ورد في القرآن، والمؤلف – رحمه الله – قال: (ولا تكييف له ولا تشبيه) والأولى أن يقال : (ولا تكييف له ولا تمثيل) لأنه هذا هو الذي ورد في القرآن.

قوله : [ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير]

ش: تقدم الكلام عن التحريف . وقوله: ولا تبديل ولا تغيير. التبديل والتغيير هذا كله داخل في التحريف.

قوله : [ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب]

ش: لأن القرآن نزل بلسان العرب ، كما في قوله الله عز وجل:﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ فالقرآن بلسان العرب ، والعرب تعرف ما يخاطبها به القرآن ، فالله عز وجل قال: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ولا تعرف

---

[10] سورة آل عمران : الآية ٧ .

العرب من ذلك إلا إثبات اليدين لله عز وجل : وقوله :﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ لا تعرف العرب من ذلك إلا إثبات الوجه. وقوله:﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾لا يعرف من الخطاب العربي إلا إثبات صفة العزة وهكذا.

وأما تأويل ذلك بصرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مرجوح بلا دليل يدل عليه، فهذا تأويل فاسد، وهذا هو الذي سلكه أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهم ، فتجدهم يؤولون قوله الله عز وجل:﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ بأن المراد باليدين القوة أو النعمة أو غير ذلك.

وما عليه السلف أهل السنة والجماعة فهو إثبات يدين لله عز وجل تليقان بجلالة وعظمته.

قوله: [ويجرونه على الظاهر]

ش: يعني يجرون على الظاهر ، مع إثبات المعنى ، والكيفية؛ لأن المفوضة – وهم من أشر أهل البدع – يفوضون النصوص ويجروها على ظاهرها، لكنهم لا يثبتون كيفية.

وأهل السنة والجماعة يجرون النصوص على ظاهرها ، ويثبتون لها كيفية في نفس الوقت. لكن هذه الكيفية لا نعلمها، الله أعلم بها ، فنقول لله عز وجل: يدان تليقان بجلاله وعظمته .والله سبحانه استوى على العرش وينزل إلى السماء الدنيا فنثبت ذلك على ظاهره مع اعتقاد أن هناك كيفية تليق بجلال الله وعظمته، أما عدم اعتقاد الكيفية وعدم إثبات المعنى ، فهذا مذهب المفوضة الذين يجرون النصوص على ظاهرها ولا يثبتون لها كيفية .

قوله: [ويكلون علمه إلى الله]

يعني هذه الكيفية أهل السنة والجماعة يكلون علمها إلى الله عز وجل – الله أعلم بها– لأنها من أمور الغيب ،لا تعرف إلا عن طريق الخبر ،إما عن الله أو عن رسول الله ﷺ و لم يرد في الكتاب والسنة أن كيفية اليد كذا، أو كيفية الإصبع، أو كيفية النزول، أو كيفية الاستواء ، وحينئذ يكلون علمه إلى الله عز وجل مع إثبات الكيفية في نفس الوقت .

قوله : [ويقرُّون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله ، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم انهم يقولونه في قوله تعالى:﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ ﴾].

ش: وأيضاً يدل لذلك قول الله عز وجل:﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ، فكون الإنسان يتحدث عن الكيفية ، هذا تحدث على الله عز وجل بما لا علم له، وأيضاً قول الله عز وجل: ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ

تَعْلَمُونَ﴾ ، فالقول على الله عز وجل ببيان الكيفية لصفات الله عز وجل ، هذا من القول على الله عز وجل بلا علم، وهذا أمر محرم لما تقدم أن ذكرنا .

إن طريق معرفة هذه الأشياء إنما هو الوحي الكتاب والسنة، و لم يرد في القرآن والسنة ما يدل لهذا.

[القرآن كلام الله منزل غير مخلوق]

قوله: [ويشهد أهل الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم،والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي نزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآناً عربيا لقوم يعلمون، بشيراً ونذيراً كما قال عز وجل : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ١٩٢ ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ ١٩٣ ﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿ ١٩٤ ﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[11]].

ش:

مذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله عز وجل، غير مخلوق، تكلم الله به عز وجل حقيقة ، منه بدأ ، وإليه يعود، ويدل لذلك قول الله عز وجل ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ ،والقرآن من الأمر ، ويدل لذلك قول الله عز وجل﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ فدل ذلك على أن القرآن من الأمر، لأنه إما خلق وإما أمر ، والواو تقتضي العطف للمغايرة، فإما خلق وإما أمر، فإذا كان القرآن من الأمر دل ذلك على أنه ليس من الخلق.

وأيضاً يدل لذلك قول الله عز وجل ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾

وكلام الله صفة من صفاته، وصفات الله عز وجل ليست مخلوقة، لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فإذا كانت الذات ليست مخلوقة ؛ فالصفات كذلك ليست مخلوقة، والقرآن كلام الله عز وجل، فهو صفة من صفاته، فدل ذلك على أنه ليس مخلوقاً.

والمعتزلة والجهمية يخالفون في ذلك ، ويزعمون أن القرآن مخلوق، وكذلك الأشاعرة ينتهي بهم قولهم إلى أن القرآن مخلوق، فهؤلاء أهل بدع يرون أن القرآن مخلوق وهذا لا إشكال أنه باطل ، والقول بخلق القرآن يترتب عليه مفاسد، نشير إليها أن شاء الله تعالى .

---

[11] سورة الشعراء : الآيات ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

قوله : [وهو الذي بلغه الرسول ﷺ أمته، كما أمر به في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[١٢] فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه عز وجل وفيه قال ﷺ : " أتمنعونني[١٣] أن أبلغ كلام ربي "[١٤] وهو الذي تحفظه الصدور وتتلوه الألسنة ويكتب في المصاحف،كيفما تصرف بقراءة قارئ، ولفظ لافظ، وحفظ حافظ وحيث تلي وفي أي موضع قرئ وكتب في مصاحف أهل الإسلام وألواح صبيانهم وغيرها،كله كلام الله جل جلاله غير مخلوق ، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم.

سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق فمن قال أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم، ولا تقبل شهادته، ولا يعاد إن مرض، ولا يصلى عليه إن مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه][١٥]

ش: يقول المؤلف: [فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم]

لأن القول بأن القرآن مخلوق تترتب عليه مفاسد عظيمة :

المفسدة الأولى: تكذيب القرآن ، فإن الله عز وجل قال:﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ ، فسماه الله عز وجل: روحاً ،وحياً، وليس مخلوق، ويقول سبحانه:﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ والقرآن من الأمر وليس من الخلق.

المفسدة الثانية : يلزم من ذلك إبطال الأوامر والنواهي؛ لأن معنى هذا، أن القرآن مجرد حروف خلقت على هذه الصورة ، فكلمة: [قل] خلقت على هذه الصورة، وقوله سبحانه وتعالى:﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ

---

(١٢) سورة المائدة : الآية ٦٧.

(١٣) في النسختين (أتمنعوني) بحذف نون الفعل،والصواب إثباتها لعدم تقدم ناصب أو جازم .

(١٤) أخرجه أبو داود (بذل المجهود ٢٧٢/١٨) باب في القرآن) والترمذي (سنن الترمذي ١٨٤/٥ باب ٢٤ رقم الحديث: ٢٩٢٥ ، وقال: هذا حديث غريب صحيح)، وابن ماجة (٧٣/١ رقم : ٢٠١) ، والدارمي (سنن الدارمي ٤٤٠/٢) والإمام أحمد (مسند الإمام أحمد ٣٩٠/٣) والحاكم (المستدرك على الصحيحين ٦١٢/٢ وصححه. ووافقه الذهبي)، ولفظه عندهم : عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فقال: (ألا رجل يحملني إلى قومه ؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي).

(١٥) ذكر الذهبي هذا القول باختصار في كتابه (سير أعلام النبلاء ٣٧٤/١٤) عند ترجمته لابن خزيمة .

تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾ هذه حروف خلقت على هذه الصورة، وقول الله عز وجل ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ وقوله:

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ، هذه حروف خلقت على هذه الصورة ، لا تفيد أن الله عز وجل أمر أو نهى، وإنما هي حروف خلقت على هذه الصورة، كما أن الشمس خلقت على هذه الصورة ، والقمر خلق على هذه الصورة.

المفسدة الثالثة: يلزم من ذلك أن كل كلام في الوجود هو كلام الله عز وجل، لأن الله هو الذي خلق هذا الكلام.

المفسدة الرابعة : أنه يلزم من ذلك أن صفات الله عز وجل مخلوقة، كالسمع والبصر.

[مسألة اللفظ بالقرآن]

قوله [فأما اللفظ بالقرآن فإن الشيخ أبا بكر الإسماعيلي الجرجاني ذكر في رسالته[١٦] التي صنفها لأهل جيلان: (من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق – يريد به القرآن – فقد قال بخلق القرآن)[١٧].

وذكر ابن مهدي الطبري في كتاب " الاعتقاد " الذي صنفه لأهل هذه البلاد: أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بأن القرآن كلام الله سبحانه ووحيه، وتنزيله ، وأمره ونهيه، غير مخلوق، ومن قال : مخلوق فهو كافر بالله العظيم، وأن القرآن في صدورنا محفوظ، بألسنتنا مقروء، في مصاحفنا مكتوب، وهو الكلام الذي تكلم الله عز وجل به، ومن قال: إن القرآن بلفظي مخلوق ، أو لفظي به مخلوق ، فهو جاهل، ضال ، كافر بالله العظيم].

ش:

هذه مسألة اللفظية، فمن زعم أن ما يتلفظ به أنه مخلوق، ويريد به القرآن، لا يريد به فعل العبد ، فإنه قال بخلق القرآن ، فهو جهمي .

وعلى هذا نأخذ أن من قال بأن لفظي في القرآن مخلوق، أنه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: إن أراد بذلك اللفظ الذي هو فعل المخلوق، فهذا صحيح؛ لأن المخلوق وجميع صفاته مخلوق .

---

(١٦) لعل هذه الرسالة هي المسماة (اعتقاد الإسماعيلي) وهي مخطوطة وجدت لها نسخة في المكتبة لظاهرية بدمشق في = خمس ورقات ضمن مجموع (١٦/٣٨-٤٢).

(١٧) وجدت ذلك في رسالة (اعتقاد الإسماعيلي) بلفظ: من قال بخلق اللفظ بالقرآن ...إلخ. انظر هذه الرسالة: ورقة ٣٩- أ .

القسم الثاني : إن أراد بذلك الوحي المنزل من الله عز وجل فهو جهمي

لكن هذا الكلام – أي كون الإنسان يقول لفظي بالقرآن مخلوق – لم يرد عن السلف ؛ ولهذا الإمام أحمد شدد على اللفظية كما سيأتينا.

والسلف شددوا في أمر اللفظية لأمرين:

الأمر الأول: أن هذا لم يرد عن السلف.

الأمر الثاني : أن الجهمية صرحوا بالقول بخلق القرآن،وأما اللفظية فهم تدرجوا بهذه الألفاظ إلى القول بخلق القرآن ،فهم لم يصرحوا لكنهم تدرجوا بهذا إلى القول بخلق

القرآن. أي أنهم جعلوا قولهم ألفاظنا بالقرآن مخلوقة وسيلة للقول بخلق القرآن.

قوله: [وإنما ذكرت هذا الفصل بعينه من كتاب ابن جهدي لاستحساني في ذلك منه، فإنه اتبع السلف أصحاب الحديث فيما ذكره، مع تجرِّه في علم الكلام وتصانيفه الكبيرة فيه ، وتقدمه وتبرزه عند أهله.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: قرأت بخط أبي عمرو المستملي: سمعت أبا عثمان سعيد بن إشكاب يقول: سألت إسحاق بن إبراهيم عن اللفظ بالقرآن ؟ فقال: لا ينبغي أن ينظار في هذا ! القرآن كلام الله غير مخلوق] .

ش:

قوله : [إسحاق بن إبراهيم]

هو إسحاق بن راهويه – رحمه الله – إمام كبير من أئمة الحديث والفقه والاعتقاد.

قوله[وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – رحمه الله – في كتابه"الاعتقاد " الذي صنفه في هذه المسألة وقال : أما القول في ألفاظ العباد بالقرآن ، فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي ، ولا تابعي ، إلا عن من في قوله الغَناء[١٨] ، والشفاء، وفي اتباعه الرشد والهدى ، ومن يقوم قوله مقام الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن حنبل – رحمه الله – فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل –رحمه الله– يقول: اللفظية جهمية . قال الله عز وجل :﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾[١٩] ممن يسمع ؟!

---

[١٨] الغناء: بفتح الغين: النفع. (الصحاح ٦/٢٤٤٩).

[١٩] سورة التوبة : الآية ٦ .

قال : ثم سمعت جماعة من أصحابنا – لا أحفظ أسماءهم، يذكرون عنه – رضي الله عنه – أنه كان يقول: (من قال : لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع].

ش:

قوله : أما القول في ألفاظ العباد بالقرآن ، فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي ولا تابعي.

هذا هو وجه الإنكار،وإلا فالأصل في ذلك أنه صحيح ، كما أشار بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – ، لكن لعلتين شدد السلف : الأولى: أن هذا لم يرد عن السلف. والثانية: أنهم توصلوا إلى ذلك بالقول بخلق القرآن، وأما الجهمية فإنهم صرحوا.

قوله :[يذكرون عنه – رضي الله عنه –]

أي: يذكرون عن الإمام أحمد – رحمه الله –.

قوله : [من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع]

إذا قال : غير مخلوق ، فهذا مبتدع ؛ لأنه لم يرد عن السلف، وهم – رحمهم الله – لم يتكلموا بهذا .

وأما من قال: لفظي بالقرآن مخلوق ، فهو جهمي ؛ لأنه توصل بهذا القول إلى القول بخلق القرآن، فهو تستَّر بهذه الألفاظ إلى القول بخلق القرآن.

قوله:

[وقال محمد بن جرير :(ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله: إذا لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه ، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبَّعُ، رحمة الله عليه ورضوانه)[٢٠]. هذه ألفاظ محمد بن جرير ، التي نقلتها نفسها إلى ما ها هنا من كتاب " يد الاعتقاد " الذي صنفه .

قلت : وهو – أعني محمد بن جرير – قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذي ذكره في كتابه كل ما نسب إليه، وقذف به، من عدول عن سبيل السنّة، أو ميل إلى شيء من البدعة. والذي حكاه عن أحمد – رضي الله عنه وأرضاه – : أن اللفظية جهمية، فصحيح عنه ، وإنما قال ذلك لأن جهمي وأصحابه صرحوا بخلق القرآن، والذين قالوا باللفظ تدرجوا به إلى القول بخلق القرآن، وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن، فذكروا هذا اللفظ، وأرادوا به أن القرآن بلفظنا

[٢٠] كتاب الاعتقاد لابن جرير الطبري ص٢٨ ، ٢٩ وفي النقل اختلاف يسير في الألفاظ.

مخلوق، فلذلك سماهم أحمد – رحمه الله –جهمية وحكي عنه أيضاً أنه قال: (اللفظية شر من الجهمية)[(٢١)].

ش:

قوله : [ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله]

يعني قول الإمام أحمد – رحمه الله – وهذا من تقدير السلف – رحمهم الله – للإمام أحمد ، وبيان منزلته ، وعظم شأنه،وأنه إمام من أئمة أهل السنة والجماعة.

قوله: [وإنما قال ذلك لأن جهماً وأصحابه صرحوا بخلق القرآن والذين قالوا باللفظ تدرجوا به إلى القول بخلق القرآن]

هذا السبب الأول ، فالسلف رحمهم الله شددوا في أمر اللفظية لسببين: هذا السبب الأول وهو أن جهماً وأصحابه صرحوا بالقول بخلق القرآن، وأما اللفظية فهم لم يصرحوا بخلق القرآن ، وإنما تستروا، وتدرجوا بهذا القول إلى القول بخلق القرآن فاعتبرهم الإمام أحمد بأنهم جهمية . فهم يوافقون الجهمية لكنهم يتسترون بدلاً من أن يصرحوا بأن القرآن مخلوق يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، وهم يقصدون بذلك أن القرآن مخلوق .

قوله: [وحكي عنه أيضاً أنه قال: اللفظية شر من الجهمية].

لأنهم جمعوا بين بدعة الجهمية وهي انهم يقولون بأن القرآن مخلوق وبين الخداع والتستر ، ولهذا قال الإمام أحمد: اللفظية شر من الجهمية.

[نهاية الشريط الأول]

قوله: [وأما ما حكاه محمد بن جرير عن أحمد – رحمه الله– أن من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع؛ فإنما أراد أن السلف من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ، ولم يحوجهم الحال إليه ، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق ،وذوي الحمق ، الذين أتوا بالمحدثات، وعتوا عن ما نهوا عنه من الضلالات، وذميم المقالات ، وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الإسلام، فقال الإمام : هذا القول في نفسه بدعة، ومن حق المتسنن أنه يدعه، ولا يتفوه به ، ولا بمثله من البدع المبتدعة، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتبعَة: أن القرآن كلام الله غير مخلوق،ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه].

---

(٢١) ذكر ذلك عنه ابنه عبد الله في كتاب (السنة ص٢٩) وانظر سير أعلام ا لنبلاء ١١/٢٨٩ .

ش:

قوله : [فإنما أراد به أن السلف الصالحين من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ، و لم يحوجهم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق وذوي الحمق الذين أتوا بالمحدثات...]

هذا السبب الثاني الذي جعل الإمام أحمد يحكم على من تكلم باللفظ أنه مبتدع، أولاً حكم عليه بأنه جهمي، ثم بعد ذلك حكم عليه بأنه مبتدع؛ لأن السلف لم يتكلموا في هذا. وهو أتى بشيء لم يتكلم عليه السلف – رحمهم الله –.

قوله : [فقال الإمام أحمد هذا القول في نفسه بدعة، ومن حق المتسنن أن يدعه وكل بدعة متبعة، ولا يتفوه به ولا بمثله من البدع المبتدعة ويقتصر على ما قاله السلف ...]

هذه المسألة التي أشار إليها المؤلف – رحمه الله – ينبغي لطالب العلم أن يربي نفسه عليها ، وأن لا يأتي بما لم يأت به السلف الصالح ، بل عليه أن يكون متبعاً لهم، ويتجنب الأقوال والألفاظ الشاذة وغير ذلك التي لم يكن عليها السلف الصالح ، فإن الخير كل الخير ، فيما كان عليه السلف الصالح، وهذه قاعدة ذكرها المؤلف ، قال : [ومن حق المتسنن- أي : الذي ينتسب إلى أهل السنة – أنه يدعه- يعني مثل هذا اللفظ – ولا يتفوه به ، ولا بمثله من البدع المبتدعة ، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتبعة] فهذه قاعدة ينبغي لطالب العلم الذي ينتسب لسنة النبي ﷺ أن يسلكها ، وأن يتحرى ما كان عليه السلف الصالح – رحمهم الله .

قوله : [أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ ثنا أبوبكر محمد بن عبد الله الجراحي بمرو، حدثنا يحي بن ساسويه ثنا عبد الكريم السكري قال وهب بن زمعة أخبرني علي الباشاني قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: (من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن، ومن قال: لا أؤمن بهذه اللام فقد كفر)[٢٢].

ش:

---

[٢٢] ذكر هذا القول – لابن المبارك بنصه بدون سند – شيخ الإسلام ابن تيمية نقلاً عن كتاب (الفصول في الأصول لأبي الحسن الكرجي) انظر(مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٨٢/٤).

وروى الذهبي بسنده عن أحمد بن يونس قال: سمعت ابن المبارك قرأ شيئاً من القرآن، ثم قال:(من زعم أن هذا مخلوق فقد كفر بالله العظيم) سير أعلام النبلاء ٤٠٣/٨ .

تكلم المؤلف – رحمه الله – عن اللفظية، وأن اللفظية الذين يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، حكم عليهم الإمام أحمد – رحمه الله – بحكمين: الحكم الأول: أنهم جهمية ، وذكرنا ما هو السبب على الحكم عليهم بأنهم جهمية. والحكم الثاني: أنهم مبتدعة ، وذكرنا ما هو السبب الذي حُكم عليهم بأنهم مبتدعة.

وشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ذكر التفصيل في قول الإنسان: لفظي بالقرآن مخلوق. فإذا أراد الإنسان الملفوظ به الذي هو القرآن فهذا حكمه جهمي، وإن أراد الإنسان (اللفظ المخلوق) فهذا حكمه ، أن الأصل أنه ليس فيه بأس.

لكن كما قال الإمام أحمد – رحمه الله – بأنه مبتدع؛ لأنه السلف وأهل السنة لم يتكلموا بهذا .

وفي هذه الجملة :[من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن، ومن قال: لا أومن بهذه اللام فقد كفر] وجوب الإيمان بكل القرآن ، وأن من أنكر شيئاً من القرآن ولو حرفاً واحداً فقد كفر بالقرآن .

[استواء الله على عرشه]

قوله:[ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله سبحانه وتعالى فوق سبع سمواته على عرشه مستوٍ، كما نطق به كتابه في قوله عز وجل في سورة الأعراف: :﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾[23] وقوله في سورة يونس:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾[24] وقوله في سورة الرعد ﴿ اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾[25] ، وقوله في سورة الفرقان ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى

---

(23) سورة الأعراف : الآية ٥٤ .

(24) سورة يونس : الآية ٣ .

(25) سورة الرعد : الآية ٢ .

عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾[26]وقوله في سورة السجدة﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾[27] وقوله في سورة طه ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[28]].

ش :

هنا شرح المؤلف – رحمه الله – فيما يتعلق بصفة العلو لله عز وجل ، وبيان مذهب أهل السنة في ذلك.

قوله : [يعتقد أصحاب الحديث ...].

المراد بأصحاب الحديث ، هم أهل السنة ، والجماعة وإنما سماهم المؤلف – رحمه الله – بأصحاب الحديث ؛ لأنهم يأخذون بحديث النبي ﷺ فهم متمسكون بالسنة ، متبعون لها .

قوله: [أن الله سبحانه وتعالى فوق سبع سماواته على عرشه مستو]

هذا مذهب أهل السنة والجماعة ، أن الله عز وجل مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ، وأنه بائن عن خلقه ، علي عليهم.

والعرش : سقف المخلوقات، وهو السرير الذي استوى عز وجل عليه، وهو أكبر المخلوقات ، ويحمله ثمانية من الملائكة ، كما قال الله سبحانه وتعالى:﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾.

وقوله :[مستو على عرشه]

الاستواء في اللغة يطلق على أربعة معان: ١- الاستقرار ٢-العلو ٣- الارتفاع

٤- الصعود . استقر وصعد وارتفع وعلي.

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة ، كما ذكر المؤلف ، وذكر أدلة على ذلك.

المذهب الثاني: إنكار الاستواء وهو مذهب المبتدعة من الجهمية،والمعتزلة وأضرابهم ينكرون أن يكون الله عز وجل مستوياً على عرشه ، ولهم في ذلك شبه :

الشبهة الأولى : قالوا يلزم من ذلك أن يكون الله محدداً.

الشبهة الثانية : قالوا يلزم من ذلك أن يكون الله عز وجل محتاجاً إلى العرش.

الشبهة الثالثة : قالوا يلزم من ذلك أن يكون الله عز وجل جسماً.

---

[26] سورة الفرقان : الآية ٥٩ .

[27] سورة السجدة: الآية ٤ .

[28] سورة طه : الآية ٥ .

فهذه ثلاث شبه لهم .

والجواب عن هذا ما يلي :

أما الشبهة الأولى : وهي قولهم أنه يلزم من ذلك أن يكون محدداً . فنقول: ما المراد بالحد ؟ فإن كنتم تريدون بالحد أن الله عز وجل في جهة العلو، وأنه فوق خلقه مباين لهم ، فهذا حق .

وإن أردتم بالحد أن الله عز وجل يحيط به العرش ، فهذا باطل ؛ لأن الله سبحانه وتعالى كبير – ضمن أسمائه الكبير والعظيم .

وأما الشبهة الثانية : وهي قولهم أنه يلزم من ذلك أن يكون الله محتاجاً للعرش. فنقول بأن هذا باطل. فإن استواء الله على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته ، ليس كمثله شيء ، والاحتياج للعرش يكون بالنسبة للمخلوق ، فالعرش لا يحمل الله ولا يقله ،بل العرش محتاج إلى الله عز وجل .

وأما الشبهة الثالثة: وهي قولهم أنه يلزم من ذلك أن يكون الله جسماً، فنقول: ما المراد بالجسم ؟ – فهذا اللفظ لم يرد في الكتاب ولا في السنة لا نفياً ولا إثباتاً– فإن أريد الذات الشريفة المتصفة بصفات الكمال ، فهذا حق.

وإن أريد الذات أو الجسم المركب من اللحم والدم والعظام ونحو ذلك ، فنقول: بأن هذا باطل.

واستواء الله على عرشه ورد في سبعة مواضع من القرآن .

قوله : [وأخبر الله سبحانه عن فرعون اللعين أنه قال لهامان:﴿ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾[٢٩] وإنما قال ذلك لأنه سمع موسى – عليه السلام – يذكر أن ربه في السماء، ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ يعني في قوله : إن في السماء إلهاً. وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف – رحمهم الله – لم يختلفوا في أن الله تعالى على عرشه، وعرشه فوق سماواته . يثبتون من ذلك ما أثبته الله تعالى، ويؤمنون به ، ويصدقون الرب جل جلاله في خبره ، ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على عرشه، ويمرونه على ظاهره ، ويكلون علمه إلى الله، ويقولون: ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ ﴾[٣٠] كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك ، ورضيه منهم فأثنى عليهم به] .

---

(٢٩) سورة غافر : الآية ٣٧ .

(٣٠) سورة آل عمران : الآية ٧ .

ش:

قوله : [أخبر الله سبحانه عن فرعون اللعين].

بالنسبة للعن الكافر فقد تكلمنا عليه ، وذكرنا أن له ستة أقسام في شرح مسلم، من هذه الأقسام الكافر المعين هل يلعن أو لا يلعن ، وذكرنا أن بعض العلماء ذهب إلى لعنه وأنه لا بأس ن ولعل المؤلف – رحمه الله – يرى هذا ، وخصوصاً مثل فرعون فإن الله عز وجل أخبر أنه من أهل النار ، وأنه مات على الكفر، فإذا كان كذلك ، فإنه لا بأس.

قوله : [ويؤمنون به ، ويصدقون الرب جل جلاله في خبره ، ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه عرشه]

هذا مذهب السلف أهل السنة والجماعة ،أنهم يؤمنون بأن الله عز وجل مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته ، ويطلقون ما اطلقه الله ، لا يحرفون ،أما الجهمية والمعتزلة يحرفون ويقولون: أن المراد بالاستواء : هو الاستيلاء ، يعني استوى الله على عرشه ،استولى عليه .

والرد عليهم من وجوه :

الوجه الأول : أن هذا مخالف لتفسير السلف – رحمهم الله –.

الوجه الثاني : أن هذا مخالف لظاهر اللفظ؛ لأن " استوى" إذا عديت [بعلى] فهي بمعنى العلو، والصعود، والاستقرار.

الوجه الثالث: أن هذا يلزم منه لوازم باطلة منها:

١) أن الله عز وجل لم يكن مستولياً على العرش، ثم بعد ذلك استولى عليه.

٢) أن كلمة " استولى " تدل على المغالبة، وأن هناك أحداً غالبه الله عز وجل – حتى استولى على العرش.

٣) أنه يلزم من ذلك أن يكون الله – عز وجل- مستوياً على الأرض وكل المخلوقات لأنه سبحانه وتعالى مستولياً عليهما.

قوله: [ويمرُّونه على ظاهره].

أي : يمرونه على ظاهره مع اعتقاد الكيفية، ليس كالمفوَّضة فهم لا يثبتون كيفية، أما أهل السنة والجماعة فيثبتون الكيفية لهذه الصفة.

وبعد هذا شرع المؤلف رحمه الله في ذكر جمل من كلام السلف ،وهذه الجمل التي ذكرها ، تعتبر كالضوابط والقواعد ؛ لأن كلمات السلف – رحمهم الله – تكون قليلة وشاملة.

قوله : [أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيي المزكى، حدثنا محمد بن داود بن سليمان الزاهد، أخبرني علي بن محمد بن عبيد أبو الحسن الحافظ – من أصله العتيق – ثنا أبو يحيى بن كيسبه الوراق ، ثنا محمد بن الأشرس الوراق أبو كنانه، ثنا أبو المغيرة الحنفي ، ثنا قرّة بن خالد عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة في قوله تعالى:﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ قالت: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان ، والجحود به كفر). [٣١]

وحدثنا أبوالحسن بن أبي إسحاق المزكى ، ثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشافعي ، ثنا شاذان ، ثنا أبي مخلد بن يزيد القهستاني، ثنا جعفر بن ميمون، قال: سئل مالك بن أنس عن قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[٣٢] كيف استوى ؟ قال:

(الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا ضالاً) وأمر به أن يخرج من مجلسه] [٣٣].

ش:

هذا الأثر الذي ورد عن أم سلمة ضعيف لأن في إسناده أبو مغيرة الحنفي وهو ضعيف ، لكنه وارد عن غير أم سلمة من السلف ، فهو مشهور عن الإمام مالك رحمه الله.

قوله: أي مالك :[الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً] .

هذه قاعدة في صفة الاستواء ، وفي غيرها من الصفات، فمثلاً في صفة الترول إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، يقال: الترل غير مجهول ، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة. أي السؤال عن الكيفية ، لأن هذا لم يرد عن السلف – رحمهم الله –.

---

(٣١) أخرجه الإمام اللالكائي في كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٣٩٧). من طريق الحسن =البصري عن أم سلمةرضي الله عنها، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعدما ذكر جواب الإمام مالك لمن سأله (كيف استوى؟) قال: (وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه) من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/٣٦٥، وانظر كتاب العلو للذهبي ص٦٥.

(٣٢) سورة طه : الآية ٥ .

(٣٣) سيأتي التخريج في الطريق الآخر للمؤلف، و لم أجد تخريجاً بهذا الطريق.

قوله : [أخبرنا أبو محمد المخلدي العدل ، ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن مسلم الإسفراييني، ثنا أبو الحسين علي بن الحسن، ثنا سلمة بن شبيب،ثنا جهدي بن جعفر بن ميمون الرملي ، عن جعفر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس يعني يسأله عن قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[٣٤]كيف استوى؟ قال فما رأيته وجد من شيء كوجده[٣٥] من مقالته ، وعلاه الرحضاء ، وأطرق القوم ؛ فجعلوا ينتظرون الأمر به فيه ، ثم سُرِّي عن مالك فقال: (الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وإني لأخاف أن تكون ضالاً) ثم أمر به فأخرج.[٣٦]

أخبرنيه جدي أبو حامد أحمد بن إسماعيل ، عن جد والدي الشهيد، وهو أبو عبد الله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني، ثنا محمد بن أحمد بن أبي عون النسوي، ثنا سلمة بن شبيب، ثنا مهدي بن جعفر الرملي، ثنا جعفر بن عبد الله قال:جاء رجل إلى مالك بن أنس، فقال:يا أبا عبد الله ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ كيف استوى ؟ قال : فما رأينا مالكاً وجد من شيء كوجده من مقالته، وذكر بنحوه].

ش:

قوله: [فما رأيته وجد من شيء كوجده من مقالته]

أي : فما رأيته غضب من شيء كغضبه من مقالته.

قوله : [وعلاه الرحضاء]

أي : العرق الكثير.

وهذا من إجلال الله عز وجل وتعظيمه وخشيته ، فكيف يسأل هذا السؤال؟

قوله : [وأطرق القوم]

---

(٣٤) سورة طه : الآية ٥ .

(٣٥) في لسان العرب : وجد عليه في الغضب يجُد ويجِد وجْداً وجدة وموجَدة ووجداناً غضب. وفي حديث الإيمان (إني سائلك فلا تَجد عليّ) أي لا تغضب من سؤالي .....) لسان العرب ٤/٤٥٩ .

(٣٦) أخرج قصة مالك بن أنس مع من سأله: الإمام أبو سعيد الدارمي من طريق مهدي بن جعفر ثنا جعفر بن عبد الله عن رجل (الرد على الجهمية ص٢٨٠ ضمن مجموع عقائد السلف).ومن طريق سلمة بن شيب بسند المؤلف أخرجها أبو القاسم اللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٣٩٨) .وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٦/٣٢٥، ٣٢٦).

أي : سكت القوم . وهذا من تقديرهم لعالمهم وإمامهم، فالإمام مالك – رحمه الله – لما غضب وحصل منه هذا العرق ؛ خوفاً من الله عز وجل، واستعظاماً لهذا السؤال ، أطرق القوم سكتوا و لم يتكلموا.

قوله: [فجعلوا ينظرون الأمر به فيه]

أي : ينتظرون.

قوله : [ثم سُري عن مالك].

أي : كُشف عنه الغضب ، وأزيل عنه .

قوله: [الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول].

هذه قاعدة وضابط في أسماء الله وصفاته. الكيف غير معقول مع الإيمان أن هناك كيفية لكن هذه الكيفية لا نعقلها، فالكيف غير معقول.

والاستواء غير مجهول: أي : معلوم في لغة العرب الاستواء، والمراد به لا يجهله أحد والعربي يفهم الكلام العربي وما المراد به، فقول الله عز وجل ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ هذا معلوم ومعروف ما المراد بالاستواء. وأن " استوى" كما تقدم تطلق على أربعة معان: علي واستقر وارتفع وقصد، وأن استواء الله عز وجل: استوائه على عرشه وعلوه عليه ، استواء يليق بجلاله وعظمته.

قوله : [والإيمان به واجب].

أي : الإيمان بالاستواء ، وأن الله عز وجل استوى استواء يليق بجلاله فهذا الإيمان به واجب ، وتحريفه إلى الاستيلاء محرّم ولا يجوز وهو بدعة .

قوله : [والسؤال عنه بدعة].

أي : السؤال عن كيفية الاستواء بدعة؛ لأن هذا لم يفعله الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – و لم يرشد إليه النبي ﷺولو كان خير لأرشد إليه ﷺ ، أو سأل عنه الصحابة – رضي الله تعالى عنهم - .

قوله : [وإني لأخاف أن تكون ضالاً].

ضالاً : أي مجانباً لطريقة السلف وأهل السنة والجماعة.

قوله : [وسئل أبو علي الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء وقيل له كيف استوى على عرشه فقال: أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا، وقد أعلمنا جل ذكره، أنه استوى على عرشه ، ولم يخبرنا كيف استوى. أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أن أبو بكر محمد بن داود الزاهد ، أن محمد بن عبد الرحمن السامي، حدثني عبد ا لله بن أحمد بن شبُّويه المروزي ، سمعت علي بن الحسن

بن شقيق يقول : سمعت عبد الله بن المبارك يقول: (نعرف ربنا فوق سبع سماوات ، على العرش استوى، بائناً من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه ها هنا)وأشار إلى الأرض[37]] .

ش:

قوله: [و لم يخبرنا كيف استوى]

أي كيفيات الصفات لا نعلمها لقول الله عز وجل ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ وقول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ فالله عز وجل أخبرنا بالصفات لكن لم يخبرنا عن كيفياتها ،و لم يرشد لذلك النبي ﷺ و لم يسأل عنه الصحابة – رضي الله عنهم – .

قوله :[ولا نقول كما قالت الجهمية] ؛ لأنهم لا يثبتون صفة الاستواء ولا يثبتون صفة العلو، وينكرونهما ، وتقدم أن ذكرنا شبههم وأجبنا عليها.

قوله: [وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ في كتابه (التاريخ) الذي جمعه لأهل نيسابور، وفي كتابه " معرفة الحديث " اللذين جمعهما، ولم يسبق إلى مثلهما يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه ، قد استوى فوق سبع سماواته ؛ فهو كافر بربه ، حلال الدم، يستتاب ، فإن تاب ولا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل ؛ حتى لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته، وكان ماله فيئاً، لا يرثه أحد من المسلمين، إذا المسلم لا يرث الكافر، كما قال النبي ﷺ: " لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم"] .

ش:

قوله: [من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته، فهو كافر بربه ...]

حكم عليه ابن خزيمة – رحمه الله – بالكفر لأنه كذب القرآن.

قوله : [وكان ماله فيئاً ...] [هنا نقص في الشريط]

---

[37] أخرج هذا القول لابن المبارك بهذا اللفظ وبزيادة (بحد) بعد (بائناً من خلقه)– الإمام أحمد في كتاب (السنة ص35) بسند المؤلف ابتداء من عبد الله بن أحمد بن شبويه، وأخرجه الإمام أحمد من طريق آخر بزيادة (بم نعرف ربنا؟) في أوله (انظر كتاب السنة ص7) وأبو سعيد الدارمي (الرد على الجهمية ص295 ضمن مجموع عقائد السلف) وانظر كتاب خلق أفعال العباد للبخاري ص31، وكتاب مختصر العلو الذهبي ص151 ، 152. وقد قال ابن القيم عن قول ابن المبارك: (وقد صح عنه صحة تقريبية من التواتر) انظر كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية ص84 .

الفيء: هو ما أخذ من مال الكفار بلا قتال، وحكمه أن يكون.............

قوله : [وإمامنا أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي – رضي الله عنه – احتج في كتابه المبسوط في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة ، وإن غير المؤمنة لا يصح التكفير بها، بخبر معاوية بن الحكم، وأنه اراد أن يعتق الجارية السوداء لكفارة، وسأل رسول الله ﷺ عن إعتاقه إياها ، فامتحنها رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ لها: " من أنا ؟ " فأشارت إليه وإلى السماء، يعني أنك رسول الله الذي في السماء، فقال ﷺ : أعتقها فإنها مؤمنة ".

فحكم رسول الله ﷺ بإسلامها وإيمانها لما أقرت بأن ربها في السماء،وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية.

وإنما احتج الشافعي – رحمة الله عليه – على المخالفين في قولهم بجواز إعتاق الرقبة الكافرة في الكفارة بهذا الخبر ؛ لاعتقاده أن الله سبحانه فوق خلقه، وفوق سبع سماواته على عرشه ، كما معتقد المسلمين من أهل السنة والجماعة ، سلفهم وخلفهم؛ إذ كان رحمه الله لا يروى خبراً صحيحاً ثم لا يقول به].

ش:

الشافعي – رحمه الله – احتج بهذا الحديث ، وغيره من أهل العلم – رحمهم الله – احتجوا على إثبات صفة العلو لله عز وجل من السنة بإقرار النبي – عليه الصلاة والسلام – وعلو الله عز وجل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: علو الصفة. وهذا متفق عليه بين أهل القبلة.

القسم الثاني : علو الذات. وهذا هو الذي يثبته أهل السنة والجماعة ،فهم يثبتون أن الله قد استوى على عرشه، بائن من خلقه، وأنه في جهة العلو.

وقد دل على إثبات صفة العلو لله عز وجل القرآن والسنة والإجماع والفطرة والعقل :

أما القرآن :

فقد تنوعت الدلالات في القرآن على إثبات صفة العلو فمن ذلك:

- بالرفع ومن أمثلته قوله عز وجل ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ ﴾.
- وأيضاً بصعود الأشياء إليه . قال سبحانه :﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾.
- وأيضاً بنزول الأشياء منه . قال سبحانه :﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ وقوله:

﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾.

- وأيضاً بالفوقية مثاله قول الله عز وجل: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾.
- وأيضاً بصفة العلو ، قوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾.

فدلالة القرآن على إثبات علو ذات الله عز وجل تنوعت إلى هذه الأنواع .

ومن السنة فقد دلت السنة القولية والفعلية والإقرارية:

- فالإقرارية: كما في هذا الحديث، فإن النبي ﷺ أقرَّ هذه الجارية السوداء لما قالت: في السماء .
- والفعلية: أن النبي ﷺ في حجة الوداع، لما قال: " اللهم هل بلغت "، قالوا : نعم . فجعل النبي ﷺ يرفع إصبعه إلى السماء ، وينكتها عليهم ، فهذا يدل على إثبات صفة العلو لله عز وجل من الفعل .
- ومن القولية: قول النبي ﷺ في الصلاة : " سبحان ربي الأعلى ".
- وأما الإجماع: فالصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين مجمعون على أن الله عز وجل مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، وأنه عال في جهة العلو.
- وأما العقل : فنقول بأن صفة العلو إما صفة كمال وإما صفة نقص، ولا شك أن صفة العلو ، صفة كمال، والله عز وجل له صفات الكمال.
- وأما الفطرة: فقد دلت أيضاً على ذلك ، فالخلق مفطورون على إثبات صفة العلو لله عز وجل ولهذا إذا حصل للإنسان شيء، فإنه إنما يرفع يديه إلى جهة السماء ، ولا يرفعها إلى جهة الأرض، بل والبهائم مفطورة على ذلك، ولهذا يقال: بأن بعض الحشرات إذا أوذيت رفعت قوائمها إلى السماء، والبقرة تصيخ برأسها إلى السماء ، وكذلك هذه الجارية التي لم تقرأ و لم تكتب و لم تتعلم عندما سألها النبي ﷺ أين الله؟ قالت: في السماء، فهذا مما يدل على أن الإنسان أو أن الخلق من بني آدم والحيوان أنهم مفطورون على إثبات صفة العلو لله سبحانه.

قوله : [وقد أخبرنا الحاكم أبو عبد الله – رحمه الله – قال: أنبأنا الإمام أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه قال: حدثنا إبراهيم بن محمود قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي – رحمه الله – يقول: (إذا رأيتموني أقول قولاً وقد صح عن النبي ﷺ خلافه فاعلموا أن عقلي قد ذهب).

قال الحاكم – رحمه الله –:سمعت أبا الوليد غير مرة يقول: حدثت عن الزعفراني أن الشافعي – رحمه الله – روى يوماً حديثاً فقال السائل: يا أبا عبد الله تقول به؟ قال: (تراني في بيعة أو كنيسة! ترى

عليّ زي الكفار! هو ذا تراني في مسجد المسلمين، علي زي المسلمين، مستقبل قبلتهم ، أروي حديثاً عن النبي ﷺ ثم لا أقول به!)].

ش:

قوله : [إذا رأيتموني أقول قولاً وقد صح عن النبي ﷺ خلافه فاعلموا أن عقلي قد ذهب].

في هذا متابعة الدليل من القرآن ومن السنة ، وهكذا كان الأئمة - رحمهم الله - والذي ورد عن الشافعي – رحمه الله – ورد نحوه عن أبي حنيفة ومالك وأحمد – رحمهم الله – كلهم يذهبون إلى أن الواجب على الإنسان أن يتبع ما دل عليه القرآن والسنة والله عز وجل يقول:﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾

قوله: أي : قول الشافعي – رحمه الله – (تراني في بيعة أو كنيسة ! ترى عليّ زي الكفار هو ذا تراني في مسجد المسلمين عليّ زي المسلمين مستقبل قبلتهم أروي حديثاً عن النبي ﷺ ثم لا أقول به).

مقتضى هذا أن من كان مسلماً مؤمناً ، فمقتضى إيمانه أن يأخذ بما ثبت من سنة النبي ﷺ ، وأن الذي لا يأخذ بالسنة، هم اليهود والنصارى، والكفار، أما المؤمنون فإن الأصل فيهم الأخذ بسنة النبي ﷺ .

والمراد بالبيعة : متعبد اليهود والكنيسة: متعبد النصارى.

قوله : [قال أبو عثمان: والفرق بين أهل السنة وبين أهل البدع أهم إذا سمعوا خبراً في صفات الرب ردوه أصلاً، ولم يقبلوه أو /......./ للظاهر ثم تأولوه بتأويل يقصدون به رفع الخبر من أصله ، وإبطال/...... / عقولهم وآرائهم فيه ويعلمون حقاً يقيناً أن ما قاله رسول الله ﷺ فعلى ما قاله، إذ هو كان أعرف بالرب جل جلاله من غيره، ولم يقل فيه إلا حقاً وصدقاً ووحياً، قال الله عز وجل:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾. قال الزهري – إمام الأئمة – وغيره من علماء الأمة – رضي الله عنهم –:(على الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم)] .

ش:

قوله : [والفرق بين اهل السنة وأهل البدعة أهم إذا سمعوا خبراً في صفات الرب ردوه أصلاً ...].

هذا تقدم وسيأتينا إن شاء الله شيء من الأمثلة على ذلك إن أهل السنة، إذا جاءهم الدليل فيه إثبات صفات الرب – عز وجل – سواء كانت صفات ذاتية أو صفات خبرية أو صفات فعلية أهم يثبتون هذه الصفات ويقبلون الحديث بخلاف أهل البدع فإهم يردونه ، ويحرفونه .

قوله : [على الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم].

الله عز وجل عليه أن يبين في وحيه، والرسول ﷺ أن يبين في نقل هذا الوحي، وعلينا التسليم: القبول والإذعان، فهذا هو الواجب على المسلم، فعليه أن يسلم بما دلت عليه الأدلة، من إثبات صفات الرب سبحانه وتعالى.

قوله : [وروى يونس بن عبد الصمد بن معقل عن أبيه أن الجعد بن درهم قدم على وهب بن منبه يسأله عن صفات الله تعالى . فقال: (ويلك يا جعد ، بعض المسألة ، إني لأظنك من الهالكين ، يا جعد لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً وعيناً ووجهاً، لما قلنا ذلك ، فاتق الله) . ثم لم يلبث جعد أن قتل وصلب .

وخطب خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بالبصرة ، فقال في آخر خطبته: (انصرفوا إلى منازلكم وضحوا بارك الله لكم في ضحاياكم، فإني مضح اليوم بالجعد بن درهم ، فإنه يقول :(لم يتخذ الله إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً) سبحانه وتعالى عما يقول الجعد علواً كبيراً ونزل عن المنبر فذبحه بيده، وأمر بصلبه].

ش:

الجعد بن درهم تقدم لنا ممن أخذ بدعته ، وقد أخذ عنه بدعته الجهم بن صفوان وإليه تنسب الجهمية ، وهلك سنة ١١٨هـــ.

* * *

[نزول الله سبحانه وتعالى ومجيئه وإتيانه]

قوله: [ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ،ولا تكييف ، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ ، وينتهون فيه إليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله].

ش:

في هذا إثبات صفة النزول لله عز وجل فأهل السنة والجماعة يثبتون نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة ، نزولاً يليق بجلاله وعظمته ، وقد روى نزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا من الصحابة ثمانية وعشرون نفساً، وهذا النزول حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى أن يطلع الفجر.

وأما المحرفون من الجهمية والمعتزلة ، فإنهم حرفوا ذلك وقالوا بأن المراد: نزول ملك من ملائكته، أو أمر من أموره ، أو رحمة من رحمته.

وشبهتهم ف ذلك يقولون : بأن النزول حادث،والحادث لا يقوم إلا بحادث، وهذا لا إشكال أنه باطل .

أما القول بأنه نزول ملك أو رحمته ،فيجاب عنه بأجوبة من أهمها: أنه مخالف لإجماع السلف ، فإنه لم يرد ذلك عن السلف – رحمهم الله – فلم يرد ذلك عن الصحابي – أبي بكر وعمر وعثمان. هذا الجواب الأول.

والجواب الثاني : أن في الحديث ما يبطل ذلك ، فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، ويقول : [من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فاغفر له من يدعوني فأستجيب له] وهذا لا يمكن أن يكون من ملك من الملائكة، أو رحمته تقول هذا الكلام أو أمره.

قوله : [بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلون علمه إلى الله].

يعني معنى ذلك أنهم يثبتون الكيفية ، لكن هذه الكيفية ، لا يعلمها إلا الله عز وجل – وليس المعنى أن النزول ليس له كيفية، بل نزول الله – عز وجل – إلى السماء الدنيا له كيفية تليق بجلاله وعظمته ، لكن هذه الكيفية لا نعلمها.

والنزول من الصفات الفعلية .

قوله : [وكذلك يثبتون ما أنزل الله – عز وجل – في كتابه، من ذكر المجيء، والإتيان، المذكورين في قوله عز وجل: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ ﴾، وقوله – عز اسمه – ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾].

ش :

أيضاً مذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة المجيء لله سبحانه وتعالى، وكذلك إثبات صفة الإتيان لله – عز وجل – وهاتان الصفتان من الصفات الفعلية ،فيثبتون هاتين الصفتين إثباتاً يليق بجلاله وعظمته.

واعلم أن المجيء والإتيان الوارد في القرآن والسنة ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول : مجيء وإتيان مطلق ، وهذا لله عز وجل ، يعني إذا جاء الإتيان والمجيء مطلقاً فهذا من صفات الله الفعلية، ومثال ذلك: قوله الله عز وجل :﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ ﴾ ، نقول هذه صفة فعلية لله عز وجل، ومن ذلك أيضاً قوله : ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ، وأيضاً في الصحيحين:

[حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله أتاهم رب العالمين] ، فنقول في هذا: إثبات صفة الإتيان لله عز وجل .

القسم الثاني : أن يكون المجيء مقيداً أو الإتيان مقيداً، فهذا بحسب ما قُيد به، فقد يُقيد بمجيء عذابه، أو يقيد بمجيء رحمته ، أو نحو ذلك ، فهذا نقول: بحسب ما قيد به ، مثال ذلك: قوله الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ ﴾ وأيضاً ما جاء في الحديث : [حتى إذا جاء الله بالرحمة والخير].

فهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

وأما بالنسبة للمحرفين فيقولون بأن المراد بالمجيء والإتيان: مجيء أمره أو مجيء ملك من ملائكته، ونحو ذلك وشبهتهم في ذلك:

أنهم يقولون : بأن المجيء حادث، والحادث لا يقوم إلا بحادث.

ومن شبههم: يقولون : بأن مثل هذه الأشياء: المجيء والإتيان ، لا تقوم إلا بجسم والأجسام متماثلة.

فهذه شبههم والرد عليها ما يلي :

نقول بأن هذه مجرد دعاوي ، فمن هو الذي قال بأن الترول لا يقوم إلا بحادث ؟

ومن الذي قال: بأن المجيء والإتيان يلزم منه: أن يكون مجسماً؟ فهذا يحتاج إلى دليل ، فهذه مجرد دعاوى تحتاج إلى دليل.

قوله : [قرأت من رسالة الشيخ أبي بكر الإسماعيلي إلى أهل جيلان: أن الله سبحانه يترل إلى السماء الدنيا؛ على ما صح به الخبر عن الرسول ﷺ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ وقال:

﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ، ونؤمن بذلك كله ؛ على ماجاء بلا كيف ، فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل ، فانتهينا إلى ما أحكمه، وكففنا عن الذي يتشابه؛ إذ كنا قد أمرنا به قوله عز وجل:﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾].

ش :

تقدم أن ذكرنا أن نزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر رواه عن النبي ﷺ ثمانية وعشرون نفساً، وأنه نزول حقيقي يليق بجلال الله وعظمته، وأما أهل البدعة المحرفة فقالوا بأن المراد بذلك : نزول أمره أو ملائكته أو رحمته وشبهتهم في ذلك: أهم قالوا إن الترول حادث ، والحادث لا يقوم إلا بحادث، وهذا باطل كما تقدم، وقلنا أن الصواب أنه نزول حقيقي يليق بجلال الله وعظمته.

وقوله : [وكففنا عن الذي يتشابه ؛ إذ كنا قد أمرنا به في قوله عز وجل....]

نقول بأن القرن وصف بأنه محكم، ووصف بأنه متشابه ، ووصف أيضاً بأن بعضه محكم وبعضه متشابه ، فالأقسام ثلاثة :

القسم الأول : الإحكام العام للقرآن الذي وصف به في قوله عز وجل ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ ومعنى هذا الإحكام : الإتقان والجودة في معانيه وألفاظه فهو غاية في البلاغة والفصاحة ، صدق في الأخبار وعدل في الإحكام .

القسم الثاني : التشابه العام . وصف القرآن بأنه متشابه في قول الله عز وجل ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا ﴾ فما معنى تشابه القرآن ؟ معنى ذلك: أنه يشبه بعضه بعضاً في الجودة والإتقان والفصاحة والكمال والغايات الحميدة.

القسم الثالث : أن بعضه محكم وبعضه متشابه ، كما في هذه الآية﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ، فنقول بأن المحكم : الذي يكون معناه واضحاً جلياً لا يلتبس على أحد ، مثل: قول الله عز وجل : ﴿ وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ فهذا مفهوم ، ومثل: قول الله عز وجل:

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ فهذا أيضاً واضح وجلي .

ومعنى المتشابه : الذي قد يظهر منه أو قد يفهم منه معنى لا يليق بالله عز وجل: أو لا يليق بكتابه أو لا يليق برسوله ﷺ ، فهذا يرجع فيه إلى الراسخين في العلم لكي يبينوا المراد .

*- مثل الذي لا يليق بالله: قول الله عز وجل:﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ قد يفهم منه الواهم أن هاتين اليدين كيدي المخلوق، حينئذ يحتاج إلى الرجوع للراسخين في العلم فهم الذين يبينونه ؛ ولهذا قال الله عز وجل:﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ ﴾ .

*- ومثال ما لا يليق برسول الله ﷺ : قول الله سبحانه وتعالى:﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ فهذا يفهم منه أن النبي ﷺ قد يحصل منه شيء من الشك.

*- ومثال ما لا يليق بكتاب الله – عز وجل - : قول الله عز وجل:﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلًّ مِّنْ عِندِ اللّهِ ﴾ فقد يتوهم الواهم منه معنى لا يليق بكتاب الله – عز وجل -.

فمثل هذه الأشياء يرجع فيها إلى الراسخين في العلم فهم الذين يوضحونها.

وبعد هذا سرد المؤلف رحمه الله طرق أحاديث النزول وسيأتينا – إن شاء الله – ويأتينا كذلك الجمع بين هذه الأحاديث .

قوله : [أخبرنا أبو بكر بن زكريا الشيباني ، سمعت أبا حامد بن الشرقي يقول: سمعت حمدان السلمي وأبا داوود الخفاف، يقولان: سمعنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، يقول: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر : يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ :] ينزل ربنا كل ليلة إلى

السماء الدنيا] كيف يترل ؟ قال: قلت: أعز الله الأمير ! لا يقال لأمر الرب كيف ؟ إنما يترل بلا كيف.

حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العدل، ثنا محبوب بن عبد الرحمن القاضي، حدثني جدي أبو بكر محمد بن أحمد بن محبوب، ثنا أحمد بن حمويه ، ثنا أبو عبد الرحمن العتكي، ثنا محمد بن سلام قال: سألت عبد الله بن المبارك ، عن نزول ليلة النصف من شبعان ، فقال عبد الله : يا ضعيف! في كل ليلة يترل، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن ، كيف يترل؟ أليس يخلو ذلك المكان منه ! فقال عبد الله : يترل كيف شاء . وفي رواية أخرى هذه الحكاية: أن عبد الله بن المبارك ، قال للرجل: إذا جاءك الحديث عن رسول الله ﷺ فاخضع له.

سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول : سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول : سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم أبا عبد الله الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر – ذات يوم – وحضر إسحاق بن إبراهيم – يعني ابن راهويه – فسئل عن حديث الترول، أصحيح هو ؟ قال: نعم ، فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب أتزعم أن الله تعالى يترل كل ليلة ؟ قال: نعم. قال: كيف يترل؟ فقال له إسحاق: أثبته فوق حتى أصف لك الترول، فقال الرجل : أثبته فوق . فقال إسحاق: قال الله عز وجل:

﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ فقال الأمير عبد الله: يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة ، فقال إسحاق: أعز الله الأمير ! ومن يجيء يوم القيامة، من يمنعه اليوم ؟].

ش:

قوله : [لا يقال لأمر ربنا كيف ؟ إنما يترل بلا كيف].

يعني معنى قوله: يترل بلا كيف : أن الترول له كيفية ، لكن معنى هذه الكيفية الله أعلم بها هذا مراده وأن له كيفية تليق بجلاله الله وعظمته .

وقوله : [سألت عبد الله بن المبارك عن الترول ليلة النصف من شعبان].

ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيها شيء عن النبي ﷺ، كما ذكر ذلك ابن العربي – رحمه الله –.

وقوله :[يا أبا عبد الرحمن كيف يترل ؟ أليس يخلو ذلك المكان منه !].

يعني هل يلزم من نزول الله عز وجل أن يخلو منه العرش، أو لا يلزم ؟ وهل يترل بذاته أو لا يترل ؟ هذه لم يتكلم عليها السلف إلا اضطراراً ، فنقول أن الله عز وجل يترل نزولاً يليق بجلالته وعظمته ولا يلزم من ذلك أن يخلو العرش منه؛ لأن الله على كل شيء قدير.

قوله : [وخبر نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا، خبر متفق على صحته ، مخرج في الصحيحين،من طريق مالك بن أنس، عن الزهري، عن الأغر ،وأبي سلمة ، عن أبي هريرة .

أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد ، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد،ثنا أبو مصعب ، ثنا مالك.

(ح) حدثنا أبو بكر بن زكريا، ثنا أبو حاتم مكي بن عيدان ، ثنا محمد بن يحيى قال: وفيما قرأت على ابن نافع ، وحدثني مطرِّف عن مالك.

(ح) وحدثنا أبو بكر بن زكريا، أن أبو القاسم عبيد الله بن إبراهيم بن باكويه، ثنا يحيى بن محمد، ثنا يحي بن يحي ، قال : قرأت على مالك ، عن ابن شهاب الزهري عن أبي عبد الله الأغر، وأبي سلمة، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: (يترل ربنا تبارك وتعالى ، في كل ليلة إلى السماء الدنيا، حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ومن يستغفرني فأغفر له ؟).

ولهذا الحديث طرق إلى أبي هريرة .

رواه الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة.

(ح) ورواه يزيد بن هارون ، وغيره من الأئمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

ومالك عن الزهري عن الأعرج ، عن أبي هريرة .

ومالك ، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة.

وعبيد الله بن عمر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة.

وعبد الأعلى بن أبي المساور، وبشير بن سليمان عن أبي حازم، عن أبي هريرة.

وروى هذا الخبر من غير طريق أبي هريرة.

رواه نافع بن حبيب بن مطعم ، عن أبيه.

وموسى بن عقبة ، عن إسحاق بن يحيى، عن عبادة بن الصامت.

وعبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن جابر بن عبد الله.

وعبيد الله بن أبي رافع، عن علي بن أبي طالب.

وشريك ، عن أبي إسحاق ،عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود.

ومحمد بن كعب ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء.

وأبو الزبير عن جابر.

وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وعن أم المؤمنين عائشة ،وأم سلمة – رضي الله عنهما – .

وهذه الطرق كلها مخرّجة بأسانيدها ، في كتابنا الكبير ، المعروف بالانتصار.

وفي رواية الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – ، عن رسول الله ﷺ: (إذا مضى نصف الليل، أو ثلثاه يترل الله إلى السماء الدنيا، فيقول : هل من سائل فيعطى ؟ هل من داع فيستجاب له ؟ هل من مستغفر فيغفر له ؟ حتى يتفجر الصبح).

وفي وراية سعيد بن مرجانة ، عن أبي هريرة زيادة في آخره وهي : (ثم بسط يديه فيقول : من يقرض غير عدوم ولا ظلوم ؟)].

وفي رواية أبي حازم ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ: [أن الله يترل إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الأخير ، فينادي : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ فلا يبقى شيء فيه الروح ، إلا علم به ، إلا الثقلين الجن والإنس] قال: [وذلك حين تصيح الديوك وتنهق ، وتنبح الكلاب].

ش :

قوله : [وذلك حين تصيح الديوك وتنهق الحمير وتنبح الكلاب] يعني عند طلوع الفجر . والروايات التي وردت في وقت نزول الرب – سبحانه وتعالى – اختلفت على أنواع :

النوع الأول : نزوله سبحانه حين يبقى ثلث الليل الآخر. وهذا النوع هو الذي ورد في حديث أبي هريرة في الصحيحين.

النوع الثاني: الإطلاق ، يترل الله – عز وجل – بدون تحديد، هل هو في الثلث الآخر ؟ أو إذا انتصف الليل ؟ أو إذا مضى ثلث الليل الأول ؟

النوع الثالث: الشك ، هل يترل حين يمضي النصف أو حين يمضي الثلث الأول.

النوع الرابع: النصف أو الثلث الأخير .

النوع الخامس : الثلث الأول .   النوع السادس: إذا مضى نصف الليل

والجمع بين هذه الروايات ما يلي : ما كان معيناً فالوقت فيه أمره ظاهر.

وأما رواية الإطلاق فتحمل على المقيد مما ورد مطلقاً في نزول الله عز وجل حمل على المقيد والمقيد كالثلث الأخير من الليل أو كالنصف أو حين يمضي الثلث الأول.

وأما بالنسبة لما كان بأو فإن كانت للشك فالمجزوم به مقدم على المشكوك فيه وإن كانت للتردد فإنها تحمل على اختلاف البلدان ، والبلدان تختلف بدخول الليل وخروجه.

[نهاية الشريط الثاني]

[مسألة] هل يصار إلى الترجيح بين هذه الروايات أو يصار إلى الجمع ؟

القول الأول : يصار إلى الجمع كما تقدم .

القول الثاني : يصار إلى الترجيح ، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وأرجح هذه الروايات رواية الثلث الأخير من الليل وهي مقدمة على غيرها كما في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – وهو حديث اتفق عليه الشيخان وهذا القول هو الصواب .

ولو افترضنا أن رواية بعد ثلث الليل الأول ثابتة، ورواية بعد نصف الليل ثابتة، أما رواية الثلث الأخير فهي ثابتة ، فلو افترضنا هذا يكون الجمع أن النزول على ثلاثة أنواع : الأول : إذا مضى ثلث الليل الأول.

الثاني : إذا مضى نصف الليل.

الثالثة: إذا مضى ثلثاً الليل وبقي الثلث ، لكن أرجح هذه الروايات رواية أبي هريرة – رضي الله عنه – وما عداها مرجوح.

قوله: [وفي رواية موسى بن عقبة ، عن إسحاق بن يحيى ، عن عبادة بن الصامت زيادات حسنة وهي التي أخبر بها أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي قال: أنبأ عبد الله بن محمد الرازي قال: أنبأ أبو عثمان محمد بن عثمان بن أبي سويد قال: حدثنا عبد الرحمن – يعني ابن المبارك – قال : حدثنا فضيل بن سليمان عن بن عقبة عن إسحاق بن يحيى . عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ : (ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: ألا عبد من عبادي يدعوني فاستجيب له ! ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له ! ألا مقتر عليه رزقه فيدعوني فأرزقه

! ألا مظلوم يذكرني فأنصره! ألا عانٍ يدعوني فأفكه! قال فيكون كذلك إلى أن يطلع الصبح يعلو على كرسيه)].

ش:

قوله : [مقتر] يعني : مضيق.

وقوله : [عان] يعني : أسير.

وقوله : [ويعلو على كرسيه] هذا ضعيف وهي لفظة منكرة ، لأنه سيأتينا إن شاء الله أن نزول الله – عز وجل – لا يقتضي أن يخلو من العرش.

قوله: [وفي رواية أبي الزبير عن جابر، من طريق مرزوق أبي بكر، الذي خرجه محمد بن إسحاق بن خزيمة – مختصرة .

ومن طريق أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، الذي خرجه الحسن بن سفيان في مسنده ومن طريق هشام الدستوائي، عن أبي الزبير ، عن جابر، أن رسول الله ﷺ قال: (إن عشية عرفة ينزل الله فيه إلى السماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض أهل السماء ، ويقول : انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً ضاحين. جاؤوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ، ولم يروا عذابي ، فلم ير يوم أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة)]

ش:

هذا الحديث في نزول الرب إلى السماء الدنيا يوم عرفة ، وهذا لا يثبت.

وقوله في الحديث : [شعثاً غبراً] شعث الشعر إذا تغير من قلة الدهن.

وقوله : : [ضاحين] أي : بارزين للشمس والهواء ، ومن ذلك ما ذكرناه في المناسك ، هل للمحرم أن يستتر بشيء تابع كسقف السيارة والشمسية قالوا: ليس له أن يستتر بشيء تابع؛ لأن النبي ﷺ وأصحابه حجوا ضاحين، يعني : بارزين للشمس والهواء ومن ذلك أيضاً قول ابن عمر – رضي الله عنه – للمحرم : أضح لمن أحرمت له ، أي : أبرز لمن أحرمت له.

وقوله : [من كل فج] أي : طريق عميق بعيد.

قوله : [وروى هشام الدستوائي ، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن رفاعة الجهني حدثه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مضى ثلث الليل ، أو شطر الليل أو ثلثاه

، يتزل الله إلى السماء الدنيا، فيقول: لا أسأل عن عبادي غيرك، من يستغفرني فاغفر له ؟ من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ حتى ينفجر الصبح).

أخبرنا أبو محمد المخلدي ، أن أبو العباس السراج ، ثنا محمد بن يحيى، ثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق، عن أبي مسلم الأغر، قال: أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة ، أهما شهدا على رسول الله ﷺ ، وأنا أشهد عليهما أهما سمعا النبي ﷺ يقول: (أن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول، هبط إلى السماء الدنيا ، فيقول: هل من مذنب ؟ هل من مستغفر؟ هل من سائل؟ هل من داع حتى تطلع الشمس)].

ش:

قوله : [حتى تطلع الشمس] هذه اللفظة منكرة ، والذي ثبت في الصحيح: [حتى يطلع الفجر] ، فهذه اللفظة لا تثبت وهي شاذة .

قوله :[أخبرنا أبو محمد المخلدي ، ثنا أبو العباس الثقفي، ثنا الحسن بن الصباح ، ثنا شبابة بن سوار ، عن يونس بن أبي إسحاق، عن بي مسلم الأغر، قال: أشهد على أبي سعيد،وأبي هريرة ، أهما قالا: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يمهل ، حتى إذا كان ثلث الليل ، هبط إلى هذه السماء ، ثم أمر بأبواب السماء ففتحت ، فقال: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأجيبه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من مضطر فأكشف عنه ضره ؟ هل من مستغيث أغيثه ؟ فلا يزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر في كل ليلة من الدنيا)] .

هذا الحديث ضعيف .

قوله: [أخبر أبو محمد المخلدي ، ثنا أبو العباس – يعني الثقفي – ثنا مجاهد بن موسى ، والفضل بن سهل ، قالا: ثنا يزيد بن هارون ، ثنا شريك ، عن أبي إسحاق عن الأغر ،أنه شهد على أبي هريرة، وأبي سعيد، أهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا كان ثلث الليل ،نزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فقال : ألا هل من مستغفر يغفر له ؟ هل من سائل يعطى سؤاله؟ ألا هل من تائب يتاب عليه .

حدثنا الأستاذ أبو منصور بن حمشاد، ثنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار ببغداد، ثنا أبو منصور الرمادي ، ثنا عبد الرزاق ، أنا معمر ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ : (ينزل الله تعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: أنا الملك ، أنا الملك، ثلاثاً، من يسألني فأعطيه ؟ من يدعوني فأستجيب له ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر).

سمعت الأستاذ أبا منصور ، على إثر هذا الحديث الذي أملاه علينا يقول: سئل أبو حنيفة عنه فقال : ينزل بلا كيف وقال بعضهم : ينزل نزولاً يليق بالربوبية بلا كيف ، من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق، بالتخلي والتملي، لأنه – جل جلاله – منزه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق ، كما كان منزهاً أن تكون ذاته مثل ذوات المخلوقين، فمجيئه وإتيانه ، ونزوله ، على حسب ما يليق بصفاته ، من غير تشبيه وكيف].

ش :

قوله : [من غير أنه يكون نزوله مثل نزول الخلق ، بالتخلِّي والتملِّي..]

أي : أن نزول الله عز وجل لا يلزم منه أن يخلو العرش منه ، فالله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله وعظمته،ولا يلزم من ذلك أن يخلو العرش منه ، فهو مستوٍ على عرشه ومع ذلك ينزل إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله وعظمته، فقوله : [من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق ، بالتخلِّي ..] أي : أن يتخلَّى عن استوائه على العرش. [والتملِّي] أي : أن يملأ مكاناً آخر والله سبحانه ، على كل شيء قدير.

وقوله : [كما كان منزهاً أن تكون له ذات مثل ذوات المخلوقين].

هذه قاعدة ذكرها العلماء – أهل السنة والجماعة – (أن القول في الصفات فرع عن القول في الذات) فكما أنه يُثبَت لله تعالى ذات لا تشبه الذوات ، فكذلك يثبت لله عز وجل صفات لا تشبه الصفات.

وقوله : [من غير تشبيه ولا كيف].

تقدم لنا ما المراد بالكيف والتشبيه ،وليس المراد هنا نفي الكيفية ، بل أهل السنة والجماعة يثبتون الكيفية لله عز وجل ، لكن المراد هنا نفي العلم بالكيفية، فالله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا ، لكن ما يتعلق بالعلم بكيفية النزول فهذا لا نعلمه والله سبحانه اعلم به. لكن نعتقد أن نزوله له معنى وله كيفية تليق بجلاله وعظمته.

قوله : [وقال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة ، في كتاب (التوحيد) الذي صنفه سمعت من حافده ابي طاهر – رحمه الله – (باب ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق من نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة من غير صفة كيفية النزول ، مع إثبات النزول، فنشهد شهادة مقر بلسانه ، مصدق بقلبه ن مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، من غير أن نصف الكيفية ؛ لأن نبينا محمد ﷺ لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا، وأعلمنا أنه يترل ، والله عز وجل ولَّى نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم ، فنحن مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين للنزول صفة الكيفية إذا النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول] .

ش :

يقول ابن خزيمة رحمه الله بأن البحث في كيفية النزول لا حاجة إليه ولو كان المسلمون محتاجين إلى ذلك لبينه النبي ﷺ فلما لم يبينه النبي ﷺ دل على أنه لا حاجة إلى معرفة ذلك، فنثبت لله جل نزولاً يليق بجلاله وعظمته ، لكن البحث في هذه الكيفية وما هي ما دام أنه لم يبينها النبي ﷺ دل على أننا لسنا بحاجة إليها ، فنقف حيث وقف القرآن وحيث وقف النبي ﷺ من إثبات الصفة بالكيفية لكن هذه الكيفية لا نعلمها.

قوله : [أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو محمد الصيدلاني ، ثنا علي بن الحسين بن الجنيد، ثنا أحمد بن صالح المصري ، ثنا ابن ذهب ، أنا مخرمة بن بكير عن أبيه .

(ح) وأخبرنا الحاكم ، ثنا محمد بن يعقوب الأصم: واللفظ له: ثنا إبراهيم بن منقذ، حدثنا ابن وهب ، عن مخرمة بن بكير ، عن أبيه ، قال: سمعت محمد بن المنكدر ، يزعم أنه سمع أم سلمة زوج النبي ﷺ تقول : (نعم اليوم ، يوم يترل الله تعالى فيه إلى السماء الدنيا، قالوا: وأي يوم ؟ قالت: يوم عرفة)].

ش:

هذا الحديث منقطع لا يثبت ، ونزول الله عز وجل الصحيح أنه ثابت في كل ليلة، وأما ما يتعلق بتروله يوم عرفة أو ليلة النصف من شعبان فهذا كله لا يثبت،والثابت المتواتر نزول الله عز وجل حين يبقى ثلث الليل الآخر.

قوله: [وروت عائشة– رضي الله عنها – عن النبي ﷺ قال: (يترل الله تعالى في النصف من شعبان إلى السماء الدنيا ، ليلاً إلى آخر النهار من الغد ، فيعتق من ا لنار بعدد شعر معز كلب ، ويكتب

الحاج، ويترل أرزاق السنة، ولا يترك أحداً إلا غفر له ، إلا مشركاً أو قاطع رحم ، أو عاقاً ، أو مشاحناً] .

ش:

قوله : [الشحناء]العداوة والبغضاء : أن يكون بينه وبين أحد عداوة وبغضاء.

وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة والدارقطني وضعفه البخاري. وليلة النصف من شعبان اختلف فيها أهل العلم رحمهم الله. في إثبات الأحاديث وفي قيامها.

أما بالنسبة لإثبات الأحاديث فذكر ابن العربي – رحمه الله – قال: [ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سماعه وما ورد من ذكر الفضل فيها ونسخ الآجال فهذا لا يعوَّل عليه].

وبعض العلماء يرجح إثبات الأحاديث الواردة ؛ ولقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [ليلة النصف من شعبان فيها فضل ومن السلف من يقومها] .

واختلف السلف رحمهم الله في قيامها على قولين:

القول الأول: مذهب أهل الشام ، فإنهم كانوا يقومون تلك الليلة ويعظمونها بناء على الأحاديث الواردة فيها ، مثل : خالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر والأوزاعي وغيرهم من أهل الشام.

القول الثاني: مذهب أهل الحجاز ، أنهم ينكرون تخصيصها بالقيام ، مثل عطاء بن ابي رباح وابن أبي مليكة وعبد الرحمن بن زيد وأصحاب مالك – رحمهم الله – ويرون أن تخصيص تلك الليلة بالقيام بدعة ؛ لأنهم لا يرون إثبات شيء من الأحاديث الواردة فيها وتقدم أن ذكرنا كلام ابن العربي رحمه الله وهو أنه ليس فيها حديث يساوي سماعه. وأهل الشام الذين يرون قيامها اختلفوا في كيفية القيام على مذهبين :

المذهب الأول: إحيائها في المساجد أي: يجتمعون للقيام في المساجد.

المذهب الثاني: إحيائها في البيوت أي أنه لا يجتمع لها بل يقوم الإنسان بخاصة نفسه في البيت كما كان عليه الأوزاعي – رحمه الله – .

والصواب في ذلك كما تقدم أنه لم يثبت فيها شيء وبالتالي لا تخصص بالقيام لا جماعة ولا أفراداً وإنما إذا كان الإنسان من عاداته أن يقوم الليل يقومها كسائر الليالي .

وأما ما يتعلق بمشروعية صلاة الألفية في ليلة النصف من شعبان فهذه الصلاة بدعة.

والألفية : هي عبارة عن مئة ركعة يقرأ فيها بعد سورة الفاتحة في كل ركعة سورة الإخلاص عشر مرات، فمئة ضرب عشرة تساوي ألف ، فهو يقرأ في هذه الصلاة سورة الإخلاص ألف مرة .

وهي بدعة لا تثبت عن النبي ﷺ وقيام تلك الليلة بهذه الصلاة لا يجوز.

قوله : [أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة ، أنبأ جدي الإمام، ثنا الحسن بن محمد الزعفراني ، ثنا إسماعيل بن عليَّة عن هشام الاستوائي.

(ح) قال الإمام : وحدثنا الزعفراني ، ثنا عبد الله بن بكر السهمي ثنا هشام الدستوائي .

وحدثنا الزعفراني، ثنا يزيد يعني ابن هارون – أنا الدستوائي.

(ح) وحدثنا محمد بن عبد الله بن ميمون ، بالإسكندرية، ثنا الوليد بن الأوزاعي.

جميعاً: عن يحيى بن أبي كثير ، عن عطاء بن يسار ، حدثني رفاعة بن عرابة الجهني.

(ح) قال الإمام : وحدثنا أبو هاشم ، زياد بن أيوب، ثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي، عن الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني هلال بن أمية ميمونة، عن عطاء بن يسار ، حدثني رفاعة بن عرابة الجهني ، قال : صدرنا مع رسول الله ﷺ من مكة؛ فجعلوا يستأذنون النبي ﷺ ، فجعل يأذن لهم، فقال النبي ﷺ:[ما بال شق الشجرة ، الذي يلي رسول الله ﷺ أبغض إليكم من الآخر ؟] فلا ترى من القوم إلا باكياً، قال : يقول أبو بكر الصديق: إن الذي يستئذنك بعدها لسفيه، فقام النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ،وكان إذا حلف قال : [والذي نفسي بيده، أشهد عند الله ، ما منكم من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر، ثم يسدد ،إلا سلك به في الجنة، ولقد وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة ، سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب، وإني لأرجو ألا تدخلوها حتى تتبوؤا، ومن صلح من أزواجكم ، وذرياتكم ، مساكنكم في الجنة]، ثم قال ﷺ : [إذا مضى شطر الليل ، أو قال ثلثاه، يترل الله إلى السماء الدنيا ؛ ثم يقول : لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يدعوني فأجيبه ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، حتى ينفجر الصبح] ، هذا لفظ حديث الوليد .

قال شيخ الإسلام : قلت فلما صح خبر الترول عن الرسول ﷺ أقر به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا الترول ؛ على ما قاله رسول الله ﷺ ، ولم يعتقدوا تشبيهاً له بترول خلقه [ولم يبحثوا عن كيفيته، إذ لا سبيل إليها بحال ،وعلموا وتحققوا، واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق ، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق ، تعالى الله عما يقول المشبهة ، والمعطلة ، علواً كبيراً ، ولعنهم لعناً كبيراً] .

ش:

قوله : [ثم يسدد]

أي يستقيم على إيمانه .

وقوله : [ولقد وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة ، سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب].

دخول سبعين ألف من هذه الأمة الجنة بغير حساب ولا عذاب، ورد في حديث ابن عباس ووصفهم النبي – عليه الصلاة والسلام – بأهم الذي لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى رهم يتوكلون وهو في الصحيحين.

وفي مسند الإمام أحمد – رحمه الله – زيادة على ذلك – كما تقدم في التوحيد.

وقوله : [وإني لأرجوا أن لا تدخلوها حتى تتبؤوا ، ومن صلح من أزواجكم ، وذرياتكم، مساكنكم في الجنة] .

أي : أنكم لا تستقرون وتتبؤون في مساكنكم في الجنة حتى يدخل معكم من صلح من أزواجكم وذرياتكم وبهذا يحصل نعيم المؤمن وقرة عينه .

وقوله : [قال شيخ الإسلام].

يقصد به المؤلف – رحمه الله –

وقوله : [المشبهة والمعطلة]

تقدم لنا تعريف المشبهة والمعطلة ، فالمشبهة : هم الذين يشبهون نزوله – سبحانه وتعالى – بتزول المخلوقين. والمعطلة : هم الذين ينكرون ذلك كالجهمية والمعتزلة الذين ينكرون نزول الرب إلى السماء الدنيا.

والمؤلف – رحمه الله – لما ذكر جملة من الأحاديث الواردة في نزول الرب – سبحانه وتعالى – أراد أن ينقل شيئاً من كلام السلف على ذلك.

قوله :[وقرأت لأبي عبد الله بن أبي حفص البخاري، وكان شيخ بخارى في عصره بلا مدافعة، وأبو حفص هذا كان من كبار أصحاب محمد بن الحسن الشيباني، قال أبو عبد الله – أعني ابن أبي حفص هذا – عبد الله بن عثمان ، وهو عبدان، شيخ مرو يقول: سمعت محمد بن الحسن الشيباني يقول: قال حماد بن أبي حنيفة، قلنا لهؤلاء:أرأيتم قول الله عز وجل: ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ وقوله عز وجل: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ ﴾ فهل يجيء ربنا كما قال ؟ وهل يجيء الملك صفاً صفا؛ قالوا: أما الملائكة فيجيئون صفاً صفاً، وأما الرب تعالى فإنا لا ندري ما عنى

بذلك؛ ولا ندري كيف جيئته فقلنا لهم: إذا لم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئته ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه. أرأيتم من أنكر أن الملك لا يجيء صفاً صفاً، ما هو عندكم؟ قالوا: كافر مكذب. قلنا فكذلك من أنكر أن الله سبحانه لا يجيء فهو كافر مكذب.

قال أبو العباس أبي حفص البخاري أيضا في كتابه : ذكر إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول : (إذا قال لك الجهمي: أنا لا أؤمن برب يزول من مكانه،فقل أنت: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء)].

ش:

وهذا الكلام كما يقال في النزول ، يقال في غيره من الصفات ، فيقال في صفة الكلام ويقال في صفة المجيء ، ويقال في صفة الإتيان ، ويقال في غير ذلك من صفات الله عز وجل .

* * *

[إتباع السنة وترك البدعة]

لما ذكر المؤلف – رحمه الله – عن حماد بن أبي حنيفة – والفضيل بن عياض، أيضاً ذكر بعض الآثار عن السلف في إتباع السنة، وإتباع السنة وترك البدعة هذا لا إشكال انه واجب ، وقد دلت عليه الأدلة، منها ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته : [أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ،وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة] وأيضاً ما ثبت في حديث العرباض بن سارية أن النبي ﷺ قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور] قال الأوزاعي رحمه الله : عليك بآثار السلف وإن رفضت الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك بالقول.

قوله :[وروى يزيد بن هارون في مجلسه : حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله في الرؤية ، وقول رسول الله ﷺ:

[إنكم تنظرون إلى ربكم كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر] فقال رجل في مجلسه: يا أبا خالد ما معنى هذا الحديث؟ فغضب وحر وقال: [ما أشبهك بصبيغ وأحوجك إلى مثل ما فعل به، ويلك ! ومن يدري كيف هذا! ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث ، أو يتكلم فيه بشيء

من تلقاء نفسه إلا من سفه نفسه واستخف بدينه ؟ إذا سمعتم الحديث عن رسول الله ﷺ فاتبعوه ولا تبتدعوا فيه فإنكم إن اتبعتموه ، ولم تماروا فيه سلمتم ، وإن لم تفعلوا هلكتم] .

وقصة صبيغ – الذي قال يزيد بن هارون للسائل: ما أشبهك بصبيغ ، وأحوجك إلى مثل ما فعل به – هي ما رواه يحي بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب، أن صبيغا التميمي أي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن : ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ قال هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال : فأخبرني عن : ﴿فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا﴾ ؟ قال: هي السحاب ، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن:﴿ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴾؟ قال: الملائكة ، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال : فأخبرني عن : ﴿ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴾؟ قال: هي السفن ، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته . قال : ثم أمر فضرب مئة سوط، ثم جعله في بيت ، حتى إذا برأ دعا به، ثم ضربه مئة سوط أخرى، ثم حمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: أن حرَّم عليه مجالسة الناس ، فلم يزل كذلك ، حتى أتى أبا موسى الأشعري، فحلف بالأيمان المغلظة ، ما يجد في نفسه مما كان يجده شيئا.. فكتب إلى عمر يخبره ، فكتب إليه: ما إخاله إلا قد صدق، خلِّ بينه وبين مجالسة الناس] .

ش:

قوله : [إذا سمعتم الحديث عن رسول الله ﷺ فاتبعوه ، ولاتبتدعوا فيه....]

البدعة تقدم لنا تعريفها، وأنها في اللغة : ما عمل على غير مثال سابق.

وأما في الشرع ن فعرفت بتعاريف ، من هذه التعاريف : أنها التعبد بما لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ أخذاً من قوله الله عز جل ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ .

وقيل في تعريفها : بأنها التعبد بما لم يكن عليه رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون أخذاً مما تقدم من حديث العرباض بن سارية أن النبي ﷺ قال: [عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ].

والبدعة ضلالة ، لأنه يلزم عليها لوازم باطلة ، من هذه اللوازم:

تكذيب قول الله عز وجل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ ؛ ولهذا قال الإمام مالك – رحمه الله – : من تبع بدعة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة .

ومنها : انه يلزم من ذلك أن الشريعة ناقصة .

ومنها: أ من اشتغل بالبدعة ؛ انشغل عن السنة، ومن أحيا بدعة فقد أمات سنة والعكس بالعكس .

أي: الذي يشتغل بالسنة يبتعد عن البدعة ، والذي يحيي السنة يميت البدعة .

ومنها: أنها توجب البعد عن الوحيين، وتفرق الأمة. وغير ذلك من اللوازم الباطلة.

وتنقسم البدعة أيضاً ، تقدم لنا تقسيمها إلى بدعة محمودة وبدعة مذمومة وأن هذا التقسيم باطل ، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أن هذا التقسيم لم يرد إلا بعد القرون المفضلة ، فليس هناك في الشرع ما يسمى بدعة محمودة ، وإنما البدعة بدعة واحدة حكم عليها النبي ﷺ بقوله :[وكل بدعة ضلالة].

وقوله : [ثم حمله على قتب].

القتب : هو الرحل الصغير الذي يكون على البعير.

وقوله : [وكتب إلى أبي موسى الأشعري: أن حرِّم عليه مجالسة الناس].

وهذا من أجل البعد عن الفتنة .

وهذا الأثر الذي أورده المؤلف – رحمه الله – عند المحدثين منقطع ؛ لأنه من رواية سعيد بن المسيِّب عن عمر ، وسعيد عن عمر عند أهل الحديث منقطع. وكان سعيد بن المسيب – رحمه الله – أحفظ الناس لقضايا عمر ، بل كان ابن عمر – رضي الله عنهما –يراجعه في قضايا أبيه ، لكنه لم يسمع من عمر ، وإنما رآه يخطب وهو صغير. وكان محباً لعمر – رضي الله عنه – ويسأل عن أخباره.

وقوله : [ما إخاله إلا قد صدق].

أي : ما أظنه إلا قد صدق .

قوله : [وروى حماد بن زيد ، عن قطن بن كعب، سمعت رجلاً من بني عجل ، يقال له فلان خالد بن زرعة ، يحدث عن أبيه ، قال: رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة ، كأنه بعير أجرب ، يجيء إل الحِلَق، فكلما جلس إلى قوم لا يعرفونه، ناداهم أهل الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين.

وروى حماد بن زيد أيضاً عن يزيد بن حازم ، عن سليمان بن يسار، أن رجلاً من بني تميم يقال له صبيغ ، قدم المدينة ، فكانت عند كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن فبلغ ذلك عمر ، فبعث إليه ، وقد أعد له عراجين النخل، فلما دخل عليه ، جلس فقال: من أنت ؟ قال ك أنا عبد الله صبيغ

قال: وأنا عبد الله عمر. ثم أهوى فجعل يضربه بتلك العراجين ، فما زال يضربه حتى شجه، فجعل الدم يسيل على وجهه . فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي].

ش:

قوله : [عزمة أمير المؤمنين].

أي : أمر أمير المؤمنين وعزمه في تركه مجالسة الناس حتى يترك ما هو عليه.

وقوله : [عراجين النخل].

عرجون النخل : هو العود الأصفر الذي فيه شماريخ.

قوله : [أخبرنا أبو الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمى، أنا محمد بن محمود الفقيه المروزي ، ثنا محمد بن عمير الرازي، ثنا أبو زكريا يحي بن أيوب العلاف التجيبي بمصر ، ثنا يونس بن عبد الأعلى ، ثنا أشهب بن عبد العزيز، سمعت ملك بن أنس يقول : إياكم والبدع. قيل : يا أبا عبد الله ، وما البدع ؟ قال: أهل البدع: الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته ، وكلامه وعلمه وقدرته، لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون.

أخبر أبو الحسين أحمد بن محمد بن عمر الزاهد الخفاف ، أنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي الفقيه ، ثا الربيع بن سلمان ، سمعت الشافعي – رحمه الله – يقول : [لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ماخلا الشرك ، أحب إلي من أن يلقاه بشيء من الأهواء].

أخبرني أبو طاهر محمد بن الفضيل،حدثنا أبو عمرو الحيري ، ثنا أبو الأزهر ، ثنا قبيصة، ثنا سفيان ، عن جعفر بن يرقان قال: سأل رجل عمر بن عبد العزيز عن شيء من الأهواء ، فقال: [الزم دين الصبي في الكتاب ،والأعرابي، والْهَ عما سوى ذلك].

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا محمد بن يزيد ، سمعت أبي يحي البزار يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : (كل ما وصف الله به نفسه في كتابه ، فتفسيره تلاوته والسكوت عنه).

أخبرنا أبو الحسين الخفاف ، ثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، ثنا إسماعيل بن أبي الحارث ، ثنا الهيثم بن خارجة، سمعت الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي وسفيان ، مالك بن أنس ،عن هذه الأحاديث في الصفات ،والرؤية، فقالوا: (أمروها كما جاءت بلا كيف).

قال الإمام الزهري– إمام الأئمة في عصره وعين علماء الأمة في وقته– : (على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم).

وعن بعض السلف: قدم الإسلام لا يثبت إلا على قنطرة التسليم].

ش:

قوله : [قيل يا أبا عبد الله ، وما البدع؟ قال: أهل البدع: الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته...].

هذا من تفسير الإمام مالك – رحمه الله – بالمثال ،وهكذا السلف – رحمهم الله

- يفسرون بالمثال، وقد يفسرون بالضابط والحد ،لكن التفسير بالمثال عندهم كثير ولهذا لو رجعت لتفسير ابن كثير مثلاً في تفسير الطاغوت والجبت تجد أنهم يفسرون بالمثال، فهذا الذي ذكره الإمام مالك – رحمه الله – مثال من أمثلة البدع، الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، أي أنهم ينكرون الأسماء والصفات أو ينكرون الصفات دون الأسماء، أو يشبهون صفات الله بصفات خلقه أو يمثلون أو يكيفون فهذا كله من البدع في الدين.

وقوله : [لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إليَّ من أن يلقاه بشيء من الأهواء ...].

قوله : بشيء من الأهواء : أي من البدع ، كما تقدم عن الإمام مالك رحمه الله – فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته. وهذا يدل على عظم شأن البدع عند السلف حيث جعل البدع في المرتبة الثانية بعد الشرك وهذا صواب لأن البدع كما قال السلف:

البدعة شَرَك الشِّرك ، فهي الوسيلة إلى الشرك.

وقوله : أي قول عمر بن عبد العزيز : [الزم دين الصبي في الكتاب ، والأعراب، والْه عما سوى ذلك]

المراد منه : ترك البدع ولزوم ما كان الإنسان عليه من الفطرة واتباع السنة ،وليس المراد أن يكون الإنسان ساذجاً غبياً.

وهذه الكلمات للسلف مهمة جداً ، كون الإنسان يحفظها ، ففيها رد على أهل البدع وأن السلف – رحمهم الله – كانوا بعيدين عن البدع .

وقوله : [سمعت سفيان بن عيينة يقول : " كل ما وصف الله به نفسه في كتابه، فتفسيره تلاوته والسكوت عنه "].

يعني قراءته والسكوت عنه وهذا كما ورد عن السلف: " أمروها كما جاءت بلا كيف" وليس مرادهم بذلك عدم إثبات الكيفية وإنما المراد عدم الخوض في الكيفية.

وقوله : [أمروها كما جاءت بلا كيف] وقوله:[على الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم].

هذه الكلمات من السلف: (علينا التسليم) (أمروها كما جاءت بلا كيف) (تفسيره تلاوته والسكوت عنه) مرادهم منها عدم الخوض في الكيفية وليس المراد نفي الكيفية ؛ لأن هذا هو مذهب المفوِّضة ، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله – ان مذهب المفوضة من أشر مذاهب أهل البدع، فالسلف يثبتون الكيفية خلاف ما فهمه عنهم بعض أهل العلم أنهم لا يرون ذلك أنها تمر على ظاهرها ولو مرت على ظاهرها كانت ألفاظ جامدة ليس لها معنى وهذا غير صواب ، بل هي ألفاظ لها معاني لكن هذه المعاني الله أعلم بها وكما قال الإمام أحمد – رحمه الله – : " لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث " ويقول الشافعي – رحمه الله -: " آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله ".

قوله :[أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة، حدثنا جدي الإمام ، ثنا أحمد بن نصر، ثنا أبو يعقوب الحنيني ، ثنا كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إن هذا الدين بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء، قيل يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال الذين يحيون سنتي من بعدي ويعلمونها عباد الله ".

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، سمعت أبا الحسن الكارزي يقول: سمعت علي بن عبد العزيز يقول: سمعت أبي عبيد القاسم بن سلام يقول: (المتبع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله).

وروي عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال: " أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم. قال الله عز وجل لنبيه ﷺ:

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾].

ش:

قوله : [قال رسول الله ﷺ: " إن هذا الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ...]

هذه الجملة في صحيح مسلم " بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا " أو " بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء " وبقية الحديث في الترمذي.

وقوله : [سمعت أبا عبيد القاسم بن سلاّم يقول: " المتبع للسنة كالقابض على الجمر ..."].

هذه الكلمة من أبي عبيد – رحمه الله – في فضل التمسك بالسنة والجهاد على ذلك ، ولا شك أن الإنسان إذا تمسك بالسنة في بلد أو في مكان تهجر فيه السنة أو تحارب لا شك أنه كالقابض على الجمر، كما قال – رحمه الله – وهو في وقته فكيف بوقتنا الآن. ويقول أيضاً: [أفضل من ضرب السيف في سبيل الله] لا إشكال أنه إذا كان في مكان تكثر في البدع ، ويهجر فيه أهل السنة، لا إشكال أنه يحتاج إلى الجهاد وقد يكون جهاده أشد من مجاهدة الأعداء.

وقوله: [دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ...].

أراد المؤلف – رحمه الله – بهذه الكلمة عن ابن مسعود – رضي الله عنه –: عدم الخوض في الكيفية ،هذا هو وجه الدلالة ؛ لأن كيفيات الصفات لا نعلمها، والله عز وجل يقول : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ .

وأيضاً قوله: [فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم] أي: كون الإنسان يقول: الله أعلم ، هذا من العلم ، ولا غضاضة في ذلك ، ولا حيا، بل هذا هو الحق والشجاعة..

قوله : [أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس المعقلي ، ثنا أحمد بن عبيد الجبار العطاردي، حدثني أبي ، حدثني عبد الرحمن الضبي ، عن القاسم بن عروة، عن محمد بن كعب القرظي قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز ؛ فجعلت أنظر إليه نظراً شديداً ، فقال: إنك لتنظر إلي نظراً ما كنت تنظره إلي وأنا بالمدينة، فقلت: لتعجبي، فقال: ومما تتعجب ؟ قال: قلت : لما حال من لونك، ونحل من جسمك ، ونفي من شعرك. قال : كيف ولو رأيتني بعد ثلاثة في قبري، وقد سالت حدقتاي على وجنتي،وسال منخراي في فمي صديداً ، كنت لي أشد نكرة. حَدِّثني حديثاً كنت حدثتنيه عن عبد الله بن عباس ، قال: قلت: حدثني عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – ، يرفع الحديث إلى رسول الله – ﷺ – قال: (إن لكل شيء شرفاً، وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة، لا

تصلوا خلف نائم ولا محدث ، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في صلاتكم ، ولا تستروا الجدر بالثياب، ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار، ألا أنبئكم بشراركم قالوا: بلى يا رسول الله! قال: الذي يجلد عبده ويمنع رفده ، ويترل وحده. أفلا أنبئكم بشر من ذلك ! الذي يبغض الناس ويبغضونه. أفلا أنبئكم بشر من ذلك ! الذي لا يقيل عثرة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنباً. أولا أنبئكم بشر من ذلك! الذي لا يرجى خيره،ولا يؤمن شره . من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله،ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله . إن عيسى عليه السلام قام في قومه فقال: يا بني إسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تظلموا ، ولا تكافئوا ظالماً فيبطل فضلكم عند ربكم .

الأمر ثلاثةك أمر بيِّن رشده فاتبعوه، وأمر بين غيّه فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه فكلوه إلى الله عز وجل].

ش:

قوله : [لما حال من لونك]

أي : تغير من لونك .

وقوله : [ونفى من شعرك]

أي : ثار من شعرك .

وقوله : [وقد سالت حدقتاي على وجنتي]

الوجنة : ما ارتفع من الخدين.

ومن هذا الكلام يتبين أن عمر لما تولى الخلافة تغير حاله ؛ لأنه ولِيَ أمراً عظيماً، ولا شك أن من ولي شيئاً من أمر المسلمين وعنده إيمان وعلم فإن هذا سيؤدي به إلى أن يهتم إلى رعايتهم والقيام بهذه الأمانة العظيمة التي حملها، وهذا الهم سيؤدي به إلى أن يتغير لونه وأن ينحل جسمه ، وأن يثور شعره وأن لا يعتني به.

وهذا الحديث الذي أورده المؤلف – حديث عبد الله بن عباس – حديث ضعيف، لكن بعض جمله وردت في أحاديث صحيحة.

وقوله: [إن لكل شيء شرفاً،وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة] هذه جملة ضعيفة لا تثبت عن النبي ﷺ .

وقوله : [لا تصلوا خلف نائم ولا محدث] .

هذه الجملة في سنن أبي داود وابن ماجة ،و بعض أهل العلم يحسن هذا الحديث.

وقوله : [واقتلوا الحية والعقرب].

أيضاً هذه الجملة في أبي داوود .. " واقتلوا الأسودين في الصلاة الحية والعقرب" وكذلك في الترمذي وصححه.

وقوله : [ولا تستروا الجدر بالثياب ، ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار].

هذه الجملة في أبي داود .

والجدر : جمع جدار وكُره ستره بالثياب لما في ذلك من الإسراف ولأنه زي المتنعمين والمتكبرين .

واستثنى العلماء من ذلك الكعبة . وإلا فإنه يكره إلا عند الحاجة كما لو كان الإنسان يحتاج إلى تغطية النافذة لحجب الضوء أو الشمس ونحو ذلك.

وقوله : [في كتاب أخيه] أي : مكتوب أخيه أي: ينظر من كتابه لا يريد أن ينظر إليها أحد. فمثلاً قد يكون الإنسان كتب شيئاً كرسالة إلى أهله أو غيرها لا يريد أن يطلع عليها أحد ، أو بينه وبين شخص عقد لا يريد أن يطلع عليه أحد وكونه ينظر ويتلصص عليه.

وقوله : [يمنع رفده].

أي : لا يعين أحداً . يمنع إعانته .

وقوله : [لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها...].

الحكمة : هي وضع الشيء في مكانه اللائق به.

وهذا الحديث ضعيف كما قلت ، إلا ما تقدم من الجمل .

* * *

[الإيمان بالبعث وبأهوال يوم القيامة]

هنا شرع المؤلف – رحمه الله – في بيان معتقد السلف وأصحاب الحديث فيما يتعلق بعد الموت ، وسنتكلم إن شاء الله بشيء من الاختصار عن البعث والصراط والميزان ونشر الصحف والشفاعة وغير ذلك مما يكون بعد الموت وهذا كله داخل في الإيمان بالله واليوم الآخر كما ذكر شيخ الإسلام – رحمه الله – في الواسطية.

فتقدم لنا أن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان فكل ما يكون بعد الموت داخل في الإيمان باليوم الآخر يجب الإيمان به، ومن أنكر شيئاً من ذلك فإنه لم يؤمن باليوم الآخر فيكون إيمانه ناقصاً في اليوم الآخر.

قوله :[ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه ، من أهوال ذلك اليوم الحق ، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق ، فيما يرونه ويلقونه هنالك من ذلك اليوم الهائل؛ من أخذ الكتب بالأيمان والشمائل ، والإجابة عن المسائل، إلى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم ، والمقام الهائل ؛ من الصراط والميزان، ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر وغيرها].

ش:

قوله : [ويؤمن من أهل الدين والسنة بالبعث ...].

البعث لغة: الإرسال والنشر .

وشرعاً: هو إحياء الأموات يوم القيامة.

والأدلة على البعث كثيرة جداً ونذكر منها ثلاثة أدلة :

الدليل الأول : الأثر ، فقد تواتر النقل عن الأنبياء ببعث الناس يوم القيامة وتلقته أممهم بالقبول ، ونزل به الوحي من الله عز وجل فالقرآن كله دليل على البعث والسنة وأيضاً الكتب السابقة كلها دلت على ذلك.

الدليل الثاني : العقل ، فالعقل دل على البعث ، فالذي قدر على أن يحيي هذا المخلوق أول مرة قادر على أن يعيده مرة أخرى كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ﴾ .

وأيضاً من أدلة العقل : أن الذي يقدر على خلق الشيء ، يقدر على خلق ما هو أقل منه ، فالله – سبحانه وتعالى – خلق السماوات مع الأرض فإذا كان الله عز وجل قادراً على ذلك، فخلق الإنسان أقل من خلق السماوات والأرض كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾

وأيضاً من أدلة العقل : أن الله ضرب في القرآن لإحياء الأموات مثلاً بإحياء الأرض بعد موتها ، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ .

الدليل الثالث : الحس ،فالحس دل على البعث ، فقد وجد حسّاً إحياء الأموات في الدنيا ، فكذلك أيضاً يوم القيامة ، ومن ذلك ما في سورة البقرة: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ....﴾ ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ..... إلخ ﴾.

ومن ذلك أيضاً ما تقدم لنا في الواسطية في بعض كرامات الأولياء وذكرنا من كرامات الأولياء أن صلت بن أشيم دعا الله عز وجل أن يحيي له فرسه فأحياه.

وقوله: [من أخذ الكتب ...].

وأيضاً أخذ الكتب داخل في الإيمان باليوم الآخر. فالكتب هي: الصحائف التي أحصيت فيها أعمال العباد ، وكتبتها الملائكة.

وقد دل على ذلك القرآن والسنة وإجماع السلف.

فمن القرآن قول الله عز وجل :﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾ وأيضاً قوله تعالى:﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا...... وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾ .

(مسألة) كيفية أخذ الكتاب :

أما المؤمن فإنه يأخذه بيمينه فرحاً مستبشراً. ويدل لذلك قوله : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ ﴾ فكونه يدعو الناس إلى قراءة كتابه دل ذلك على الفرح والاستبشار.

وأما الكافر فإنه يأخذه بالشمال،وقال بعض العلماء :تخلع يده الشمال وتجعل من وراء ظهره، جمعاً بين الآيتين ،كما في سورة الحاقة وسورة الانشقاق، ويأخذه حزنا مغتماً ،ولهذا يدعوا على نفسه بالويل الثبور: ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ ﴾

وقوله : [والإجابة عن المسائل].

أيضاً : يؤمن أهل السنة والجماعة بما يتعلق بالحساب.

والحساب في اللغة : العد والإحصاء . وأما في الاصطلاح والشرع: فهو توقيف العباد على أعمالهم يوم القيامة

وقد دل على الحساب القرآن والسنة والإجماع .

أما القرآن: فقول الله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾ .

ومن السنة: حديث عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال: " من نوقش الحساب فقد عذِّب ".

(مسألة) كيفية الحساب :

نقول بأن كيفية الحساب تختلف :

- أما كيفية حساب المؤمن فإن الله عز وجل يخلوا بعبده المؤمن ، ويلقي عليه كنفه – يعني ستره – ويوقفه على أعماله ، ويقول : عملت كذا يوم كذا ، وعملت كذا يوم كذا ..... هذا حساب المؤمن.
- وأما كيفية حساب الكافر فإنه يناقش عن أعماله ، وتظهر بين العباد.

وقوله : [من الصراط، ...] .

أيضاً مما يدخل في الإيمان باليوم الآخر : الصراط.

والصراط في اللغة : هو الطريق الواضح، وأما في الاصطلاح : فهو جسر بين الجنة والنار ، ضرب على متن جهنم .

والصراط تحته مباحث :

المبحث الأول : ما يتعلق بتعريفه وقد تقدم ذلك.

المبحث الثاني: دليل الصراط . فقد دل عليه القرآن والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة.

أما القرآن فقول الله عز وجل :﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ وقد فسر الورود في قول قتادة وأبي مسعود وزيد بن أسلم بأن المراد به المرور على الصراط . وفسر بغير ذلك ، لكن الذي يعنينا هنا ما ورد عن ابن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم.

وأما السنة فقول النبي ﷺ :" ثم يضرب بالجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون سلِّم سلِّم " وهذا في الصحيحين .

وأما الإجماع ، فأهل السنة والجماعة مجمعون على ذلك.

المبحث الثالث : من يمر على الصراط ؟

نقول : يمر عليه المؤمنون دون الكفار ؛ لأنه يكون قد أمر بهم إلى جهنم نسأل الله السلامة.

المبحث الرابع: كيفية الصراط .

اختلف في كيفيته على قولين:

القول الأول: أنه طريق واسع ،ويدل لذلك ما ورد في حديث أبي سعيد " أنه دحض ومذلة " ، ولا يكون دحضاً ومذلة إلا إذا كان واسعاً.

القول الثاني : أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف ، وقد ورد هذا عن أبي سعيد – رضي الله عنه – كما في صحيح مسلم.

المبحث الخامس: أول من يعبر على الصراط .

أول من يعبر على الصراط هي أمة محمد ﷺ لأن هذه الأمة هي أول الأمم دخولاً الجنة .

مسألة : هل يعبر الرسل على الصراط أم لا ؟

نقول: نعم يعبر الرسل على الصراط ؛ ولهذا ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: " سأكون أنا وأمتي أول من يجيز ".

المبحث السادس : كيفية المرور على الصراط .

نقول : يمر المؤمنون على الصراط على قدر أعمالهم ، فمنهم من يمر كطرف العين ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح ،ومنهم من يمر كالطير ، وكأجاويد الخيل ، والركاب ،فناج مسلَّم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس في جهنم .وهذا في الصحيحين.

وبعد مرور المؤمنين على الصراط ، يحبس من نجا من السقوط في جهنم في القنطرة ، قبل دخول الجنة ، فيؤخذ لبعضهم من بعض وهذا حساب آخر غير الحساب السابق الذي يكون في عرصات القيامة ، فيكون هذا حساب آخر يصفى ، ويؤخذ لبعضهم من بعض ، بحيث لا يكون في قلب بعضهم على بعض غل.

وقوله : [والميزان].

أيضاً : مما يدخل في الإيمان باليوم الآخر ، الميزان .

والميزان : تحته مباحث :

المبحث الأول : تعريف الميزان .

الميزان في اللغة : ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً.

وأما في الشرع : هو ما يضعه الله عز وجل يوم القيامة لوزن أعمال العباد .

المبحث الثاني : دليل الميزان.

دل على الميزان الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة.

أما الكتاب فمن ذلك قوله الله –عز وجل- ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ وقول الله عز وجل :﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾.

وأما من السنة : فقول النبي ﷺ : " يؤتى بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة " وهذا في الصحيحين.

[هنا نقص في الأشرطة – مسألة ما الذي يوزن في الميزان–انظر بداية الشريط الرابع]

وقوله : [ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر وغيرها]

النشر في اللغة : فتح الكتاب. وأما في الاصطلاح : فهو إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة ، وتوزيعها.

وتقدم لنا شيء من ذلك، وذكرنا كيف توزع صحائف الأعمال ، وأن المؤمن يأخذ صحيفته بيمينه ، والكافر بشماله وأن حال المؤمن وقت أخذ صحيفته، انه يأخذها فرحاً مستبشراً كما في قوله الله عز

وجل:﴿ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ﴾ ، وأما الكافر فهو على العكس من ذلك فيأخذها وهو مغموم ، حزين كما في قول الله عز وجل: ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ يدعو على نفسه بالويل والثبور.

* * *

[شفاعة الرسول – ﷺ –]

قوله:[ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول – ﷺ – لمذنبي أهل التوحيد، ومرتكبي الكبائر ، كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله – ﷺ – .

أخبرنا أبو سعيد بن حمدون، أنبأنا أبو حامد بن الشرقي ، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبد الرزاق ،أنبأنا معمر عن ثابت عن أنس، عن النبي –ﷺ– قال:

" شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ".

وأنا أبو علي زاهر بن أحمد ، أنا محمد بن المسيب الأرغياني، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا عبد السلام بن حرب الملائي، عن زياد بن خثيمة ، عن نعما بن قراد عن

عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله –ﷺ– :" خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة، لأنها أعم وأكفى، أترونها للمؤمنين المتقين، لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين".

أنا أبو محمد المخلدي ، أنا أبو العباس السراج، ثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عمرو بن أبي عمرو.

(ح) وأخبرنا أبو طاهر بن خزيمة أنا جدي الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو بن أبي عمرو، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟

فقال : (لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ، من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قِبَلِ نفسه)].

ش:

قوله : [ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول -ﷺ- لمذنبي أهل التوحيد، ومرتكبي الكبائر ؛ كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله -ﷺ-].

الشفاعة في اللغة : مأخوذة من الشفع ، وهو جعل الوتر زوجاً.

وأما في الاصطلاح: فهي التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة .

والشفاعة من حيث الجملة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شفاعة خاصة بالنبي -ﷺ-.

القسم الثاني: شفاعة عامة.

والشفاعة الخاصة بالنبي -ﷺ- أنواع :

النوع الأول : الشفاعة العظمى، وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف، أن يقضي الله –عز وجل- بينهم ؛ لما يلحقهم من الكرب والشدة فيذهبون إلى الأنبياء من نوح إلى أن يأتوا إلى محمد -ﷺ- كما في حديث الشفاعة الطويل،وهذه يقر بها حتى الخوارج والمعتزلة ، وهذا النوع من المقام المحمود الذي أوتيه النبي -ﷺ- كما في قول الله عز وجل:﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا ﴾.

النوع الثاني : شفاعته -ﷺ- لأهل الجنة أن يدخلوها ، وهذه ثابتة أيضاً كما في صحيح مسلم .

النوع الثالث: شفاعته -ﷺ- في تخفيف العذاب عن عمّه أبي طالب وهذه كما مرت علينا في صحيح مسلم وغيره. ويدل لذلك أن النبي -ﷺ- لما سئل هل نفع عمه أو لا ؟ فأخبر النبي -ﷺ- أنه يشفع فيه فيخرج إلى ضحضاح من نار ويقول النبي -ﷺ-: " ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار " ،وهذه الشفاعة مستثناة من قول الله عز وجل : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾.

النوع الرابع : شفاعته – عليه الصلاة والسلام – لأقوام من هذه الأمة يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – في الصحيحين وفيه قول النبي – عليه الصلاة والسلام – [ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب] فنهض النبي -ﷺ- ودخل منزله، وخاض الناس في أولئك ، فقال بعضهم: لعلهم الذين صحبوا رسول الله-ﷺ- وقال بعضهم: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام و لم يشركوا بالله شيئاً. وذكروا أشياء ثم خرج النبي -ﷺ- فاخبروه ، فقال عليه الصلاة والسلام -:" هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ".

فقام عكاشة بن محض فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : أنت منهم .

النوع الخامس : شفاعته عليه الصلاة والسلام. لأقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وهذه ورد فيها أثر عن ابن عباس – رضي الله عنهما- لكنه ضعيف.

هذه الأنواع خاصة بالنبي - ﷺ - .

وأما القسم الثاني من أقسام الشفاعة: الشفاعة العامة للنبي -ﷺ- ولغيره وهي أنواع:

النوع الأول : شفاعته -ﷺ- لمن استحق النار أن لا يدخلها،ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات هذا النوع من الشفاعة وعند الخوارج والمعتزلة إنكار هذا النوع وسيسرد المؤلف – رحمه الله – طرفاً من ما ورد في إثبات الشفاعة.

النوع الثاني: شفاعته – عليه الصلاة والسلام – فيمن دخل النار أن يخرج منها،وهذه أيضاً أنكرها المعتزلة والخوارج؛ لأنهم يرون أن من مات على كبيرة من الكبائر فإنه من أهل النار خالداً مخلداً فيها بقول الله عز وجل:﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ .

النوع الثالث : الشفاعة في رفع درجات المؤمنين، وهذه دليلها كما ثبت في صحيح مسلم لما دخل النبي-ﷺ- على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه وقال:

" إن الروح إذا قبض تبعه البصر فلا تقولوا إلا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون .. ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، وأفسح في قبره ونور له فيه ".

وقوله: [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي].

في هذا رد على الخوارج والمعتزلة ، ففيه إثبات الشفاعة لأهل الكبائر وهذا يشمل أهل الكبائر الذي استحقوا النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها ، وأهل الكبائر الذين دخلوا النار ثم يشفع فيهم حتى يخرجوا منها .

وقوله: [إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ، من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه].

هذا يدل لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات الشفاعة لأهل الكبائر سواء دخلوا النار أو استحقوها ، والأحاديث في الشفاعة متواترة ، وتقدم لنا في صحيح مسلم كثير من الأحاديث في إخراج أهل الكبائر ممن دخل النار، وأنه يشفع فيهم حتى يخرجوا منها ، وأنهم يخرجون ضبائر قد افتحموا، وأنهم يلقون في نهر الحياة ، وأنهم ينبتون كما تنبت الحَبة أو الحِبَّة في حميل السيل – أي محمول السيل – ويقال لهم الجهنميون.

فهذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف كلها ترد على ما ذهب إليه الخوارج والمعتزلة من إنكار الشفاعة.

* * *

[الإيمان بالحوض والكوثر]

قوله:[ويؤمنون بالحوض والكوثر وإدخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب ، ومحاسبة فريق منهم حساباً يسيراً وإدخالهم الجنة بغير سوء يمسهم وعذاب يلحقهم وإدخال فريق من مذنبيهم النار ثم إعتاقهم وإخراجهم منها وإلحاقهم بإخوانهم الذين سبقوهم إلى الجنة ولا يخلدون في النار .
فأما الكفار : فإنهم يخلدون فيها ، ولا يخرجون منها أبداً ، ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الإيمان أحداً].

ش:
شرع المؤلف –رحمه الله – في بيان مذهب أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالحوض والكوثر، ومذهب أهل السنة والجماعة : إثبات الحوض والكوثر ، والإيمان بهما من الإيمان باليوم الآخر.

والحوض تندرج تحته مباحث :

المبحث الأول : تعريفه .

الحوض لغة : الجمع ، فيقال : حاض الماء يحوضه إذا جمعه ، ويطلق على مجمع الماء.

وأما في الاصطلاح: فهو حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة. والكوثر : هو نهراً عطيه النبي -ﷺ- في الجنة .

ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات الحوض خلافاً للمعتزلة والخوارج ، فإنهم ينكرونه .

المبحث الثاني : أدلة الحوض :

دلت عليه السنة وإجماع أهل السنة والجماعة .

أما السنة فقول النبي – عليه الصلاة والسلام في حديث عبد الله بن عمرو –
" حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن ،وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه لا يظمأ أبداً ". وهذا في الصحيحين. وقد ذكر السيوطي – رحمه الله – أن الأحاديث الواردة في الحوض عن أربعة وخمسين صحابيا. ويعتبر بعض أهل العلم أحاديث الحوض من الأحاديث المتواترة.

المبحث الثالث: هل الحوض موجود الآن أم ليس موجوداً ؟

نقول بأنه موجود ، ويدل لذلك ما ثبت في صحيح البخاري ، أن النبي -ﷺ- قال: " والله إني لأنظر إلى حوضي الآن ".

المبحث الرابع : استمداده.

نقول بأنه يصب فيه ميزابان من الكوثر ، والكوثر هو نهر أعطيه النبي -ﷺ- في الجنة . والميزابان أحدهما من الذهب والآخر من الفضة. وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله – أن النبي -ﷺ- قال: " وأعطاني الكوثر ، وهو نهر في الجنة ، يسيل في حوضي ". وهذا حسنه ابن كثير – رحمه الله .

المبحث الخامس: كيفية الحوض .

أما بالنسبة لطوله وعرضه ، فطوله شهر وعرضه شهر ، كما ورد في الحديث الذي تقدم وآنيته كنجوم السماء في العدد واللمعان والبريق.وماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من ريح المسك.

وهذا تقدم من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي -ﷺ- قال: " حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبداً ".

وورد في طوله أيضاً أنه كما بين أيلة إلى صنعاء اليمن، كما في حديث أنس – رضي الله عنه – وهذا لا ينافي ما تقدم من أن طوله شهر وعرضه شهر ؛ لأن النبي – ﷺ- يذكر مثل هذه الأشياء للتقريب ، فقوله: كما بين أيلة إلى صنعاء اليمن، ليس مقصود به التحديد وإنما ضرب المثال لكونه شيئاً معروفاً لدى السامع، ولا يلزم من ذلك التحديد.

المبحث السادس : هل الحوض قبل الصراط أم بعده ؟

نقول : بأن الحوض قبل الصراط ؛ لأنه يختلج منه أناس ،وقد ثبت عن النبي -ﷺ- من حديث سهل بن سعد –رضي الله عنه – في الصحيحين أنه قال:" إني فرطكم على الحوض – والفرط هو المتقدم إلى الماء – من مر شرب ، ومن شرب لا يظمأ وليردن عليّ أقوام يعرفونني وأعرفهم ثم يحال بيني وبينهم " وهؤلاء الذين يردون من الحوض ويختلجون منه هم أهل البدع الذي خاضوا في البدع.

المبحث السابع : هل الحوض قبل الميزان أم بعده ؟

هذا موضع خلاف بين أهل العلم – رحمهم الله – والصواب أن الحوض قبل الميزان، لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً ، وهذا ما ذهب إليه القرطبي – رحمه الله – ورجحه .

المبحث الثامن : هل الحوض خاص بالنبي-ﷺ-أم لكل نبي حوض؟

وهذا أيضاً موضع خلاف :

فذهب بعض أهل العلم إلى أن لكل نبي حوض ، كما ورد في حديث سمرة – رضي الله عنه – أن النبي -ﷺ- قال: " لكل نبي حوض، وهو قائم على حوضه، بيده عصا، يدعو من عرف من أمته " وهذا الحديث أخرجه الترمذي واستغربه.

وورد من حديث أبي سعيد عند ابن ماجة وبعض أهل العلم يثبته لتعدد طرقه.

وقوله : [والكوثر ،] .

الكوثر: هو نهر أعطيه النبي -ﷺ- في الجنة كما تقدم في مسند الإمام أحمد –رحمه الله- وحسنه ابن كثير.

وورد في صحيح مسلم أن الكوثر حوض وعده عز وجل نبيه محمداً -ﷺ- عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه امته يوم القيامة.

وفي صحيح البخاري أن النبي -ﷺ- قال:" بينما أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ".

ففي صحيح مسلم تفسير الكوثر بالحوض الذي في عرصات القيامة، وفي صحيح البخاري ومسند أحمد تفسيره نهر في الجنة ، وجمع القرطبي رحمه الله بين هذه الأحاديث : بأن الكوثر ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: نهر في الجنة ، والقسم الثاني: حوض في عرصات القيامة يستمد من النهر الذي في الجنة ؛ وبهذا تجتمع الأدلة.

وقوله : [وإدخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب، ...].

الحساب تقدم الكلام فيه .

والمؤلف – رحمه الله – شرع هنا فيما يتعلق بالجنة والنار .

والجنة مأخوذة من الاجتنان ، وهو في اللغة يطلق على معان منها، الستر، والبستان وغير ذلك.

والمراد بها في الاصطلاح: الدار التي أعدها الله لأوليائه المتقين يوم القيامة.

وأما النار : فهي الدار التي أعدها الله لأعدائه يوم القيامة.

ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات الجنة والنار ،والأدلة عليها كثيرة من القرآن والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة.

أما القرآن فمنه قول الله عز وجل:﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلا ﴾ وقول الله عز وجل : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾.

والأدلة من السنة ظاهرة كثيرة ، وقد تقدم لنا شيء من ذلك، كحديث ابن عباس – رضي الله عنهما –:" ومعهم سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب " وحديث أبي هريرة – رضي الله عنه –:" ما أسفل الكعبين ففي النار".

مسألة: هل الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان أو ليستا مخلوقتين؟

نقول: بأنهما الآن مخلوقتان موجودتان لقول الله عز وجل في الجنة:﴿ أعدت للمتقين ﴾ وأيضاً يدل على ذلك ما تقدم لنا من قول النبي –ﷺ–: "بينما أنا أسير في الجنة " ، وأيضاً ما ثبت عن النبي –ﷺ– في صلاة الكسوف، أنه عرضت عليه الجنة والنار ،وأنه رأى أهل النار يعذبون فيها، رأى عمر بن لحي، ورأى المرأة التي حبست الهرة .

مسألة : هل الجنة والنار تفنيان أم لا ؟

أما الجنة فلا تفنى باتفاق السلف وأهل السنة والجماعة ، متفق على ذلك، والدليل قول الله – عز وجل –:﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ﴾ .

أما النار: فالصواب أنها لا تفنى ، وإن كان فيه خلاف عن بعض السلف في فنائها ، والله عز وجل ذكر تأبيد النار في ثلاثة مواضع، الموضع الأول في سورة النساء، والثاني في سورة الأحزاب والثالث في سورة الجن . وما دام أن القرآن صريح بالتأبيد فإن الإنسان يتوقف حيث جاء القرآن ،ولم يرد عن النبي –ﷺ– شيء من ذلك ثابت ، والقرآن بيَّن الخلود والتأبيد فيصار إلى ما جاء في كتاب الله. وهذه من أمور الغيب التي يحتاج فيها إلى توقيف.

مسألة : في مكان الجنة والنار .

أما الجنة ففي أعلى عليين : فوق السماء السابعة، وأما النار ففي أسفل سافلين أي في الأرض السابعة.

وقوله: ﴿ وإدخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب﴾ هذا كما تقدم في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما –.

وقوله: [من إدخال فريق من مذنبيهم النار ، ثم إعتاقهم وإخراجهم منها، وإلحاقهم بإخوانهم الذين سبقوهم إلى الجنة ، ولا يخلدون في النار].

أي: إن مات على التوحيد والإيمان بالله عز وجل وعنده شيء من الكبائر، فمذهب أهل السنة والجماعة: أنه تحت المشيئة ، إن شاء الله عذبه في النار لفترة ثم يخرج منها ويدخل الجنة، وإن شاء غفر له و لم يعذبه.

قوله : [فأما الكفار فإنهم يخلدون فيها، ...]

الكفار : يخلدون في النار ولا يخرجون منها أبداً ، كما ذكرنا أن خلود النار وعدم فنائها هو الذي دل عليه القرآن.

* * *

[رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة]

قوله:[ويشهد أهل السنة : أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم، وينظرون إليه على ماورد به الخبر الصحيح، عن رسول الله –ﷺ– في قوله:" إنكم ترون ربكم ، كما ترون القمر ليلة البدر ".والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية ، لا للمرئي بالمرئي. والأخبار الواردة في الرؤية، مخرجة في كتاب (الانتصار) بطرقها].

ش:

هذا مذهب أهل السنة والجماعة ، إثبات رؤية المؤمنين لربهم وهذه أنكرها المعتزلة والجهمية ،والناس في رؤية الله عز وجل طرفان ووسط :،

فالطرف الأول: غلو في إثبات الرؤية ، فأثبتوها في الدنيا والآخرة، وهؤلاء هم عامة الخرافية والصوفية؛ لأنهم يثبتون الرؤية لأوليائهم حتى في الدنيا.

والطرف الثاني : غلو في نفي الرؤية فنفوها في الدنيا والآخرة ، وهؤلاء هم الجهمية والمعتزلة.

والوسط : هم أهل السنة والجماعة ، فأثبتوا الرؤية لله عز وجل في الآخرة أما في الدنيا فرؤية الله فيها مستحيلة. ويدل لذلك أن الله سبحانه قال لموسى:

﴿ لن تراني ﴾ وأيضاً لقول النبي –ﷺ–: " إنكم لن ترون ربكم حتى تموتوا". كما في صحيح مسلم.

وقد دل على مذهب أهل السنة والجماعة القرآن والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة.

أما القرآن فقول الله عز وجل: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾والزيادة كما ورد في صحيح مسلم هي : النظر إلى وجه الله عز وجل. وأيضاً قوله سبحانه: ﴿ ولدينا مزيد ﴾ ومعناه : ورد عن علي بن أبي طالب أنه النظر إلى وجه الله – سبحانه وتعالى- .

وأما السنة فكثير كما في حديث جرير بن عبد الله ، وغيره كما ذكر المؤلف – رحمه الله -.

والجهمية والمعتزلة ينكرون رؤية الله عز وجل ولهم شبه على ذلك منها:

يستدلون بقول الله عز وجل: ﴿ لن تربي ﴾ من شبههم: قول الله عز وجل

﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ ، ومن شبههم: قالوا بأنه يلزم من ذلك أن يكون جسماً.

والجواب عن ذلك سهل :

أما قول الله عز وجل - : ﴿ لن تراني ﴾ هذا في الدنيا، أما في الآخرة فقد ثبتت الأدلة برؤية الله – عز وجل - .

وأما قوله سبحانه : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ فالمراد بذلك الإحاطة، فالله سبحانه لم ينف الرؤية وإنما نفى إدراك الأبصار.

وأما قولهم : أنه يلزم من ذلك أن يكون جسماً ، فنقول هذا غير مسلم ، ولا يلزم من ذلك أن يكون جسماً .

وهذا الحديث الذي أورده المؤلف رحمه الله هو حديث جرير بن عبد الله وهو ثابت في صحيح البخاري وغيره.

[هنا نقص-لم يشرح قوله:[والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية...] راجع بداية الشريط الرابع.

[خلود الجنة والنار]

قوله : [ويشهد أهل السنة: أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنهما باقيتان، لا يفنيان أبداً، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار – الذين هم أهلها خلقوا لها – لا يخرجون منها أبداً ،وأن

المنادي ينادي يومئذ: (يا أهل الجنة خلود ولا موت ، ويا أهل النار خلود ولا موت) على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله -ﷺ-].

ش:

تقدم أن عرّفنا الجنة وأنها الدار التي أعدها الله لأوليائه في الآخرة ، وأن النار هي الدار التي أعدها الله لأعدائه في الآخرة ،وكل منهما مخلوقة فإن الله عز وجل قال:

﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ فقوله سبحانه وتعالى:﴿ أعدت للمتقين ﴾ يدل على أنها موجودة ومخلوقة.

وأيضاً قال الله عز وجل في غافر: ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾. وأيضاً ذكرنا من الأدلة على ذلك ما ثبت في الصحيحين أن الجنة والنار عرضتا على النبي -ﷺ- في صلاة الكسوف، وذكرنا الأدلة على تأبيد النار وأنها مؤبدة في ثلاثة مواضع من القرآن، وكذلك ذكرنا الأدلة على تأبيد الجنة ، وأيضاً مما يدل على تأبيد النار قوله الله عز وجل : ﴿ لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ فهذا يدل على أنها مؤبدة وأن أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون .

وفي تأبيد النار خلاف لبعض أهل السنة سبقت الإشارة إليه.

ويدل لذلك أيضاً ما في صحيح مسلم أنه يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، فينادى أهل الجنة وينادى أهل النار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فينظرون ويشرئبون ويقولون: نعم هذا الموت. ويقال لأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فينظرون ويشرئبون ويقولون: نعم هذا الموت . ثم بعد ذلك يؤمر به فيذبح ويقال: (يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت).

* * *

[ذكر أحد الطلاب لأقوال العلماء في خلود الجنة والنار في منتصف الوجه الثاني من الشريط الرابع لم يدون]

[حقيقة الإيمان]

قوله : [ومن مذهب أهل الحديث : أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سألت أبا عبد الله احمد بن حنبل – رحمه الله – عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان، فقال: حدثنا الحسن بن موسى الأشيب، ثنا حماد بن سلمة ، ثنا أبو جعفر الخطمي، عن أبيه ، عن جده ، عن عمير بن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص. فقيل: وما زيادته ما نقصانه ؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحناه؛ فتلك زيادته، وإذا غفلنا ، وضيعناونسينا؛ فذلك نقصانه].

ش:

قوله المؤلف رحمه الله – : [ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة].

المقصود بقوله : [معرفة] : تصديق القلب، وهذا معناه أن الإيمان : قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة ينقص بالمعصية ،وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

وقد سبق أن الناس في الإيمان ثلاثة أقسام أو طرفان ووسط:

المرجئة في طرف والخوارج والمعتزلة في طرف آخر وأهل السنة والجماعة وسط.

- فالطرف الأول: المرجئة ويقولون : بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وإنما هو شيء واحد تصديق

القلب ، وإن لم يتكلم وإن لم يعمل ،ويرون أن من ارتكب كبيرة ،وأتى ما يكون فسقاص أن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل ، وينكرون الوعيد والعقاب ؛ لأنهم يرون أن الإيمان شيء واحد هو مجرد التصديق وأنه لا يزيد ولا ينقص، وأن الأعمال ليست من الإيمان، فأفسق الفساق كأتقى الأتقياء، فإيمانه كإيمان أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما –.

- الطرف الثاني هم الخوارج والمعتزلة: ويرون أن الإيمان أيضاً شيء واحد لكن هؤلاء في طرف وهؤلاء في طرف ، فالمرجئة يقولون بأن الأعمال ليست من الإيمان أما الخوارج والمعتزلة فإنهم يقولون بأن الأعمال شرط في صحة الإيمان.

والإيمان عندهم – أي الخوارج والمعتزلة – هو عموم ما أمر الله – عز و جل – به لا يتجزأ، ويرون إنه إذا ذهب بعضه ذهب كله .

فأصبح هؤلاء في طرفي نقيض: هؤلاء يخرجون الأعمال ، وهؤلاء يدخلونها ويشددون في إدخالها، ويقولون بأنها شرط في صحة الإيمان ، وأنه إذا ذهب البعض ذهب الكل .

- أما الوسط فهم أهل السنة والجماعة: وهم بين مذهب المرجئة وبين مذهب الوعيدية الخوارج والمعتزلة ، ويقولون بأنه الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن الإنسان إذا فعل كبيرة من الكبائر فهو مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، ولا يسلبونه مطلق الاسم كما يفعله الخوارج ولا يعطونه الإيمان المطلق كما يفعله المرجئة، بل يعطونه مطلق الاسم.

أقسام المرجئة :

والمرجئة ينقسمون إلى قسمين كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:

القسم الأول: الذين قالوا بأن الإيمان مجرد التصديق كما تقدم وهم المبتدعة أتباع الجهم بن صفوان.

القسم الثاني : مرجئة الفقهاء كما عليه كثير من الحنفية.وهؤلاء يقولون بأن الأعمال ليست من الإيمان – أي ليست داخلة في مسمى الإيمان – وهم وإن كانوا مبتدعة بهذا القول إلا أنهم يوافقون أهل السنة والجماعة بأن الأعمال مشروعة، ومنها الواجب ومنها السنة ومنها المستحب، وأن تارك العمل يذم ويعاقب إذا كان واجباً ، وأن أصحاب الكبائر تحت مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم وأنه لابد أن يتكلم بلسانه وكذلك أيضاً يقولون: بإثبات الشفاعة، وأن أصحاب الكبائر هؤلاء يشفع فيهم كما تقدم لنا في أقسام الشفاعة، لكنهم كما تقدم يخالفون أهل السنة في قولهم بأن الأعمال ليست داخلة في الإيمان .

قوله : [أخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكي ، ثنا أبي ، ثنا أبو عمرو الحيري، ثنا محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن إدريس المكي، وأحمد بن شداد الترمذي، قالوا حدثنا الحميدي، ثنا يحيى بن سليم ، سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان فقالوا:

قول وعمل .

سألت هشام بن حسان ، فقال : قول وعمل.

وسألت ابن جرير، فقال : قول وعمل .

وسألت سفيان الثوري، فقال : قول وعمل .

وسألت المثنى بن الصباح ، فقال : قول وعمل .

وسالت محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، فقال: قول وعمل.

وسألت محمد بن مسلم الطائي، فقال: قول وعمل.

وسألت فضيل بن عياض ، فقال: قول وعمل.

وسألت نافع بن عمرو الجمحي، فقال: قول وعمل.

وسألت سفيان بن عيينة فقال: قول وعمل .

وأخبرنا أبو عمرو الحيري ، ثنا محمد بن يحيى، ومحمد بن إدريس، وسمعت الحميدي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد تقول: ينقص ، فقال: اسكت يا صبي بلى ينقص ، حتى لا يبقى منه شيء.

وقال الوليد بن مسلم، سمعت الأوزاعي، ومالكاً، وسعيد بن عبد العزيز ينكرون على من يقول: إقرار بلا عمل ، ويقولون: لا إيمان إلا بعمل. قلت فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر، فإنه أكمل إيماناً ممن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة.

وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن باكويه الجلاب يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة يقول: سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول: قال لي عبد الله بن طاهر : يا أحمد إنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلاً وأنا أبغضهم عن معرفة. إن أول أمرهم أنهم لا يرون للسلطان طاعة.

والثاني : أنه ليس للإيمان عندهم قدر. والله لا أستجيز أن أقول : إيماني كإيمان يحي بن يحيى ولا كإيمان أحمد بن حنبل.وهم يقولون: إيماننا كإيمان جبريل وميكائيل.

وسمعت الحاكم يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قدم ابن المبارك الري ، فقام إليه رجل من العباد ،الظن به أنه يذهب مذهب الخوارج فقال له: يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا أخرجه من الإيمان. فقال يا أبا عبد الرحمن: على كبر السن صرت مرجئاً؟ فقال: لا تقبلني المرجئة. المرجئة تقول: حسناتنا مقبولة ، وسيئاتنا مغفورة ولو علمت أني قبلت مني حسن لشهدت أني في الجنة.

ثم ذكر عن ابن شوذب عن سلمة بن كهيل عن هذيل بن شرحبيل قال: قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح . سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني يقول: سمعت يحي بن منصور القاضي يقول: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت الحسين بن حرب– أخا أحمد بن حرب الزاهد – يقول: أشهد أن دين أحمد بن حرب الذي يدين الله به أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص].

ش:

والبخاري –رحمه الله– يقول: أدركت ألف عالم من علماء الأمصار كلهم يقول: الإيمان قول وعمل. أخرجه اللالكائي بإسناد صحيح.

وقولهم: [قول وعمل] يشمل أقوال القلب وأعماله ، فأقوال القلب هي اعتقاداته كأن يعتقد بأن الله عز وجل هو المنفرد بالعبادة، وأنه لا يستحق أحد أن يصرف إليه شيء من العبادة ، ويعتقد إثبات ما أثبته لله عز وجل لنفسه من الأسماء والصفات مما جاء في القرآن والسنة، ويعتقد كذلك الإيمان باليوم الآخر وما جاء في ذلك من الميزان والصراط والجنة والنار ، فأقوال القلب اعتقاداته.

وأما أعمال القلب فهي ما يتعلق بالإخلاص والتوكل والمحبة والخوف والرجاء والإنابة.

وقوله: [الإيمان قول وعمل يزيد وينقص،..]

الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه أدلة كثيرة منها: قول الله عز وجل:﴿ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ ومنها قوله سبحانه في سورة الكهف:﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ ومنها قوله سبحانه :﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ .

ومن السنة قول النبي – عليه الصلاة والسلام – :" الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" فالشاهد قوله: أعلاها وأدناها ففيهما دليل على أنه يزيد وينقص.

وأيضاً من السنة قول النبي -ﷺ-:" أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً" فدل على أن بعضهم يكمل إيمانه ، وبعضهم ينقص إيمانه.

وقوله: [لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح ،]

هذا الأثر من عمر – رضي الله عنه – يدل على تفاوت الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ، وهذا هو الشاهد من إيراد الأثر.

* * *

[المؤمن لا يكفر بالكبيرة ومن مات على التوحيد لا يخلد في النار إن عذب]

قوله: [ويعتقد أهل السنة : أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة؛ صغائر وكبائر؛ فإنه لا يكفر بها. وإن خرج عن الدنيا؛ غير تائب منها ؛ ومات على التوحيد والإخلاص ؛ فإن أمره إلى الله عز وجل: إن شاء عفا عنه ،وأدخله الجنة يوم القيامة ، سالمًا غانماً، غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه، ثم استصحبه– إلى يوم القيامة – من الآثام والأوزار. وإن شاء عاقبه وعذبه مرة مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها ؛ بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار] .

ش :

وهذا دلت عليه أحاديث كثيرة، أحاديث الشفاعة، وأن الملائكة تشفع ، والرسل وأن الله عز وجل يأمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه .

قوله: [وكان شيخنا سهل بن محمد رحمه الله يقول: " المؤمن المذنب وإن عذب بالنار ، فإنه لا يلقى فيها إلقاء الكفار، ولا يبقى فيها بقاء الكفار، ولا يشقى فيها شقاء الكفار ". ومعنى ذلك : أن الكافر يسحب على وجهه إلى النار ، ويلقى فيها منكوساً، في السلاسل والأغلال والأنكال الثقال. والمؤمن المذنب إذا ابتلي بالنار، فإنه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرجل؛ من غير إلقاء وتنكيس. ومعنى قوله : (لا يلقى في النار إلقاء الكفار) أن الكافر يحرق بدنه كله كلما نضج جلده بدل جلداً غيره ليذوق العذاب كما بينه الله في كتابه في قوله:

﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾. وأما المؤمنون فلا تلفح وجوههم النار ، ولا تحرق أعضاء السجود منهم ؛ إذ حرم الله على النار أعضاء سجوده.

ومعنى قوله : (لا يبقى في النار بقاء الكفار) أن الكافر يخلد فيها، ولا يخرج منها أبداً ، ولا يخلد الله من مذنبي المؤمنين في النار أحداً.

ومعنى قوله: (ولا يشقى بالنار شقاء الكفار) أن الكفار يؤيسون فيها من رحمة الله ، ولا يرجون راحة بحال.

وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعهم من رحمة الله في كل حال، وعاقبة المؤمنين كلهم إلى الجنة ، لأنهم خلقوا لها، وخلقت لهم فضلاً من الله ومنَّة].

ش:

قوله: [كان شيخنا سهل بن محمد – رحمه الله – يقول: " المؤمن المذنب وإن عذب في النار ؛ فإنه لا يلقى فيها إلقاء الكفار، ولا يبقى فيها بقاء الكفار.."]

بعض العلماء يرى أن نار الموحدين تختلف عن نار الكفار، فالموحدون يعذبون في النار إلا أن نارهم تختلف عن نار الكفار ؛ ولهذا قال سهل بن محمد – رحمه الله- : " المؤمن المذنب وإن عذب بالنار فإنه لا يلقى فيها إلقاء الكفار ولا يبقى فيها بقاء الكفار ولا يشقى فيها شقاء الكفار ".

وقوله : [وأما المؤمنون فلا تلفح وجوههم النار ، ولا تحرق أعضاء السجود منهم؛ إذ حرم الله على النار أعضاء سجوده]

مما يدل لذلك حديث أبي هريرة في الصحيحين : أن النبي -ﷺ-قال:" حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود " فاعضاء السجود لشرفها حرم الله على النار إحراقها.

وهذا مما يدل لما ذكره بعض العلماء كما تقدم أن نار الموحدين ليست كنار الكفار ، وأن المؤمن المذنب لا يلقى من العذاب والشقاء في النار كما يلقى الكافر، ولا يُلقى فيها كما يُلْقى الكافر.

* * *

[تارك الصلاة متعمداً هل يكفر ؟]

قوله: [واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمداً ؛ فكفره بذلك أحمد بن حنبل ، وجماعة من علماء السلف رحمهم الله ، وأخرجوه به من الإسلام، للخبر الصحيح (بين العبد والشرك ترك الصلاة ، فمن ترك الصلاة فقد كفر).

وذهب الشافعي ، وأصحابه، وجماعة من علماء السلف– رحمة الله عليهم أجمعين – إلى أنه لا يكفر – ما دام معتقداً لوجوبها – وإنما يتوجب القتل كما يستوجبه المرتد عن الإسلام . وتأولوا الخبر : من ترك الصلاة جاحداً لها ؛ كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿ إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴾، ولم يك تلبس بكفر ففارقه ؛ ولكن تركه جاحداً له].

ش:

ترك الصلاة ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : أن يتركها جحداً لوجوبها ، فهذا يكفر بالاتفاق ؛ لأنه مكذب لله ورسوله – ﷺ– وإجماع المسلمين.

القسم الثاني : أن يتركها تهاوناً وكسلاً ، فهذا موضع خلاف بين الأئمة:

بالمشهور عن الإمام أحمد رحمه الله – أنه يكفر. واستدل على ذلك بأدلة كثيرة، وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله – في كتابه – كتاب الصلاة – كفر تارك الصلاة من القرآن بنحو عشرة أوجه، وحشد كثيراً من الأدلة فيما يتعلق بهذه المسألة ، ومن الأدلة على ذلك ما أورده المؤلف – رحمه الله – " بين العبد والشرك ترك الصلاة " حديث جابر في صحيح مسلم، ومن الأدلة حديث بريدة في السنن:

" العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر ".

وكذلك من الأدلة آثار الصحابة – رضي الله عنهم – ، يقول عبد الله بن شقيق: " ما أجمع أصحاب محمد على شيء تركه كفر إلا الصلاة "

وكذلك أيضاً من القرآن قوله تعالى:﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم ﴾ فدل ذلك على أنهم إذا لم يقيموا الصلاة ليسوا إخواننا.

والرأي الثاني: رأي الأئمة الثلاثة الشافعية والحنفية والمالكية، أنه لا يكفر تارك الصلاة، واستدلوا بأدلة كثيرة منها أدلة الرجا واستدلوا كذلك بحديث عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – أن النبي -ﷺ- قال: " خمس صلوات من حافظ عليهن بركوعهن وسجودهن ووضوئهن وخشوعهن كان له عهد عند الله أن لا يعذبه، ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عند الله عهد ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له".

فالشاهد قوله : [من لم يحافظ عليهن....إن شاء عذبه وإن شاء غفر له].

والأظهر في ذلك ما ذهب إليه الإمام أحمد – رحمه الله – فإن الأدلة في ذلك صريحة في الكفر ؛ ولأن الإنسان إذا ترك الصلاة لم يبق بينه وبين المنافق فرق.

وهنا مسألة أخرى وهي : متى يكفر من ترك الصلاة تهاوناً وكسلا ؟

أي: إذا قلنا نكفره فمتى يحكم على أنه كافر ؟

وهذه مسألة أيضاً موضع خلاف :

الرأي الأول: أنه إذا ترك الصلاة ثم تضايق وقت الثانية و لم يفعلها ، فقد كفر، أي لم يفعل الأولى – يعني ترك صلاة الظهر حتى تضايق وقت العصر عنها.

الرأي الثاني: أنه لا يكفر إلا إذا داوم الترك ، فإذا كان يصلي ويخلي لم يحكم بكفره ، فمثلاً: يصلي هذا اليوم وغداً لا يصلي، أو يصلي يومين ويوم ثالث لا يصلي فقالول بأن هذا لا يحكم بكفره ، وهذا قال به شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – والذي يظهر لنا هو الرأي الثاني .

* * *

[أكساب العباد مخلوقة لله تعالى]

قوله : [ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد: أنها مخلوقة لله تعالى . لا يمترون فيه ، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه].

ش:

أهل السنة والجماعة يرون أن أعمال العباد مخلوقة، وهذا يأتينا الكلام عليه في القدر، وأن الناس في القدر طرفان ووسط.

فالمعتزلة القدرية: يقولون : بأن أفعال العباد ليست مخلوقة لله عز وجل وإنما العبد هو الذي يخلق فعله – وهو الذي يشاءه وهو الذي يخلقه –.

والجهمية الجبرية على العكس من ذلك فيقولون :بأن العبد ليس له إرادة وليس له مشيئة ، وأن أفعال العباد مخلوقة لله – عز وجل – وان الله عز وجل هو الذي شاءها والعبد لم يشأ فعله و لم يرده ، وأن حركته كحركة الريشة في مهب الريح.

وأهل السنة والجماعة وسط بين هذين الطرفين ، فيثبتون لله عز وجل المشيئة والإرادة، ويثبتون للعبد مشيئة وإرادة ، يقولون بأن أفعال العبادة مخلوقة لله عز وجل. والأدلة على ذلك كثيرة :
منها قول الله عز وجل:﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ ، وأيضاً قوله قول الله عز وجل :﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ وأيضاً قول الله عز وجل:﴿ خالق كل شيء ﴾ ويدخل في ذلك أفعال العباد.

[الهداية والإضلال بمشيئة الله]

قوله: [ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء لدينه ، ويضل من يشاء عنه ، لا حجة لمن أضله الله عليه، و لا عذر له لديه. قال الله عز وجل :
﴿ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ وقال: ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني ..) الآية،وقال:﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ..﴾ الآية، سبحانه خلق الخلق بلا حاجة إليهم ؛ فجعلهم فريقين . فريقاً للنعيم فضلاً، وفريقاً للجحيم عدلاً ، وجعل منهم غيا ورشيدا ، وشقيا وسعيدا،وقريبا من رحمته وبعيداً؛ ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ .
﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ ، قال عز وجل:﴿ كما بدأكم تعودون . فريقاً هدى وفريقاً حقت عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ ، وقال:﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾، قال ابن عباس: هو ما سبق لهم من السعادة والشقاوة].

ش :

هنا أشار المؤلف – رحمه الله – إلى نوعين من أنواع الهداية :

قوله : [ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء لدينه ، ويضل من يشاء عنه] هذه تسمى عند العلماء : هداية توفيق ، وهذه خاصة بمن منَّ الله عليهم ، ودليل ذلك قول الله عز وجل :﴿ يهدي من يشاء ويضل من يشاء ﴾ .وهي بيد الله عز وجل وليست بيد أحد من خلقه.

والنوع الثاني : أشار إليه بقوله :

[لا حجة لمن أضله الله عليه ، ولا عذر له لديه] وهي هداية البيان والإرشاد أو الدلالة والإرشاد ، وهذه ليست خاصة بأحد ،وكل يملكها ، فكل يملك أن يهدي ويدل ، بمعنى أنها ليست خاصة لله عز وجل وليست خاصة لأحد من الخلق ، فالمخلوق يهدي هداية الدلالة والإرشاد ، وأيضاً كل هداه الله عز وجل هداية البيان والإرشاد ، ويدل لها قول الله عز جل :﴿ وهديناه النجدين ﴾ وأيضاً قول الله عز وجل :﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ ، فهذان نوعان من أنواع الهداية: هداية التوفيق وهداية الدلالة والإرشاد.

النوع الثالث : : الهداية العامة المشتركة بين كل المخلوقات، وهذه دل لها قول الله عز وجل :﴿ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ فهذه تشمل الإنسان والحيوان والطير وغير ذلك ، كل هداه الله عز وجل لمصالحه ، خلقه ورحمه رحمة عامة ويسر له أسباب رزقه وهداه لذلك فكل هدي لمصلحته من جلب النفع ودفع الضر.

النوع الرابع: الهداية إلى الجنة والنار ، وهذه يوم القيامة ، فالله عز وجل يهدي المؤمنين إلى الجنة ويهدي الكفار إلى النار ، قال الله عز وجل : ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ وقال في أهل الجنة :﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ﴾ .

قوله : [أخبرنا أبو محمد المخلدي ، أخبرنا أبو العباس السراج ، ثنا يوسف بن موسى ، أنا جرير ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ،عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله –ﷺ– وهو الصادق المصدوق

(أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك بأربع كلمات : رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ، فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ما سبق له في الكتاب ؛ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ؛ حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ما سبق له في الكتاب ؛ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها).

وأخبرنا أبو محمد المخلدي قال: أنبأنا أبو العباس السراج قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي – هو ابن راهوية – قال أنبأنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله قال:(أن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة وإنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل النار، فإذا كان عند موته تحول فعمل بعمل أهل النار فمات فدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، وإنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل الجنة فإذا كان قبل موته عمل بعمل أهل الجنة فمات فدخل الجنة)].

ش :

قوله : [ثم يدركه ما سبق له من الكتاب].

الكتاب : المقصود منه : ما سبق في كتابه اللوح المحفوظ كما سيأتينا في مراتب القدر ، وأنها أربع .

وقوله : [إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة]. هذا فيما يبدو للناس ، ولا يؤخذ من هذا إساءة الظن بالله عز وجل ، بل يجب حسن الظن بالله ، والإنسان إذا كان مؤمناً متابعاً لأمر الله وأمر رسوله -ﷺ- فإن الله لا يخذله ، ولا يمكن أن يكون هناك إنسان مؤمن ومتقي ومتبع للأوامر ،ومجتنب للنواهي يعمل بعمل أهل الجنة ثم بعد ذلك تكون خاتمته سيئة ، هذا لا يمكن أن يظن بعدل الله ورحمته ، لكن فيما يبدو للناس ، فهذا إنسان عنده شيء من الفساد في العقيدة أو خلل كالعجب أو الكبرياء ، لكنه يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، فيسبق عليه الكتاب .

* * *

[الإيمان بقضاء الله تعالى خيره وشره]

قوله: [ويشهد أهل السنة ويعتقدون : أن الخير والشر، والنفع والضر بقضاء الله وقدره لا مرد لها ولا محيص ولا محيد عنها ، ولا يصيب المرء إلا ما كتب له ربه ، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتب الله له لم يقدروا عليه ، ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا . على ما ورد به خبر عبد الله بن عباس ، عن النبي -ﷺ- . قال الله عز وجل :

﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ﴾ الآية .

ش :

القدر : بالفتح وكذلك أيضاً : بالسكون ، فتقول : القدر ، والقدر، وهو مصدر قدرت الشيء إذا أحطت بمقداره.

وأما في الاصطلاح : فهو تعلق علم الله عز وجل وإرادته أجلاً بالكائنات قبل وجودها ، والإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان ، وأركانه ستة : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، ويدل لذلك حديث عمر – رضي الله عنه – في سؤال جبريل للنبي -ﷺ- فإن جبريل سأل -ﷺ- عن الإيمان ، فقال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ".

والناس في القضاء والقدر طرفان ووسط ، فالمعتزلة القدرية طرف ، والجهمية الجبرية طرف آخر ،وأهل السنة وسط بين هذين الطرفين.

فالمعتزلة القدرية ينكرون إرادة الله عز وجل ومشيئته لأعمال المخلوقين وخلقه لها ويقولون: بأن العبد هو الذي يخلق عمله ،وهو الذي شاءه وأراده ،ولهذا سموا مجوس هذه الأمة لأنهم يثبتون خالقاً آخر مع الله عز وجل وهو العبد يخلق فعل نفسه. ويستدلون بأدلة وشبه :

منها قول الله عز وجل :﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ومن شبههم أيضاً يقولون: لو قلنا بأن الله عز وجل أراد عمل المخلوق وشاءه وخلقه لكان ظالماً ، والظلم لا يجوز على الله ، لأنه كيف يكون الله أراد هذا العمل من المخلوق وخلقه ثم بعد ذلك يعاقبه ويعذبه عليه.

وأما الجهمية الجبرية فهم في الطرف الآخر ، فيثبتون خلق الله عز وجل لأعمال العباد ، وأن الله عز وجل شاءها. وأرادها ، وينكرون إرادة المخلوق ومشيئته، ويقولون بأن المخلوق لم يشأ فعل نفسه و لم يرده ، وإنما عمله كالريشة في مهب الريح ، وحركته كحركة المرتعش ، ولهم شبه على ذلك منها : قول الله عز وجل: ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾، فالله عز وجل جعل الخلق له سبحانه وتعالى لأعمال العباد ، فدل ذلك على أن المخلوق لم يرد هذا العمل ، وإنما الذي أراده هو الله عز وجل وهو الذي خلقه.

وأهل السنة والجماعة وسط بين هذين الطرفين فهم يثبتون مشيئة الله إرادته ويثبتون للمخلوق مشيئة وإرادة ،لكن مشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الله عز وجل كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ﴾.

واعلم بأن القدرية الذين يقولون بنفي القدر ينقسمون إلى قسمين :

القسم الأول : القدرية الغلاة ،وهؤلاء وجدوا في عهد صغار الصحابة – رضي الله عنهم – كابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري وعبادة بن الصامت وغيرهم من صغار الصحابة – رضي الله عنهم – وقد تقدم لنا في كتاب الإيمان في صحيح مسلم أن الصحابة – رضي الله عنهم – صاحوا بهم ، وأنهم كفروهم ، وهؤلاء القدرية الغلاة ينفون مرتبة العلم ومرتبة الكتابة ، فينفون أن الله عز وجل كتب أعمال العباد وينفون أن الله عز وجل يعلم أعمال العباد ، ويقولون : بأن الله لا يعلم بعمل العبد إلا بعد وقوعه ، وينفون كتابته سبحانه لأعمال العباد.

القسم الثاني : القدرية النفاة غير الغلاة: وهؤلاء يثبتون مرتبة الكتابة ، والعلم لكنهم ينفون مرتبة المشيئة ومرتبة الخلق كما تقدم ، فيقولون بأن الله عز وجل لم يشأ أعمال العباد و لم يخلقها.

ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات مراتب القدر الأربع :

المرتبة الأولى : مرتبة العلم . فالله عز وجل يعلم كل شيء حتى أعمال العباد، يعلم ما كان وما لم يكن لو كان كيف يكون وما سيكون .

والأدلة على مرتبة العلم كثيرة جداً منها قول الله عز وجل : ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة والله بكل شيء عليم ﴾.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة . فيؤمن أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ حتى أعمال العباد.

والأدلة على ذلك كثيرة منها قول الله عز وجل: ﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر . وكل صغير وكبير مسطر ﴾ وأيضاً قول الله عز وجل:﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ﴾.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وهذه يثبتها أهل السنة . والجماعة ، وأن الله شاء كل شيء ، ولا يكون في الكون من حركة إلا بإذن الله ومشيئته وإرادته حتى أعمال العباد، والأدلة على ذلك كثيرة منها قول الله عز وجل :﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ وأيضاً قول الله عز وجل : ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ﴾ .

المرتبة الرابعة : مرتبة الخلق ، وأن الله عز وجل خلق كل شيء حتى أعمال العباد ، والأدلة على ذلك كثيرة ، منها قول الله عز وجل :﴿ والله خلقكم وما تعلمون﴾ وأيضاً قول الله عز وجل : ﴿ الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء ﴾ وأيضاً قول الله عز وجل : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ .

* * *

ملاحظة : لم يتطرق الشيخ حفظه الله للرد على شبهة المعتزلة القدرية والجهمية والجبرية.

[الشر لا يضاف إلى الله تعالى]

قوله : [ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم – مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه – أنه لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقض على الانفراد فيقال : يا خالق القردة والخنازير، والخنافس

الجعلان. – وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه – وفي ذلك ورد قول رسول الله –ﷺ– في دعاء الاستفتاح [تباركت وتعاليت ، والشر ليس إليك].

ومعناه والله أعلم – والشر ليس مما يضاف إليك إفراداً وقصداً ؛ حتى يقال لك في المناداة : يا خالق الشر ، ويا مقدر الشر – وإن كان هو الخالق والمقدر لهما جميعاً – لذلك أضاف الخضر عليه السلام إرادة العيب إلى نفسه ، فقال فيما أخبر الله عنه في قوله: ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها ﴾ ولما ذكر الخير والبر والرحمة ؛ أضاف إرادهّا إلى الله عز وجل فقال: ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كترهما رحمة من ربك ﴾.

ولذلك قال مخبراً عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾. فأضاف المرض إلى نفسه والشفاء إلى ربه وإن كان الجميع منه].

ش :

الله عز وجل خلق كل شيء كما قال سبحانه وتعالى:﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ خالق كل شيء ﴾ ، لكن الشر لا ينسب إلى الله عز وجل، كما في حديث علي في صحيح مسلم في دعاء الاستفتاح وفيه قوله عليه الصلاة والسلام : " والشر ليس إليك ". فالشر لا ينسب إلى الله عز وجل؛ لأنه لا يخلق الشر إلا لحكمة عظيمة ، فالشر ليس من فعل الله عز وجل وإنما في مفعولاته ؛ ولهذا لا ينسب إلى الله عز وجل.

*   *   *

[إثبات إرادة الله ومشيئته]

قوله :[ومن مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله عز وجل مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها ، ولم يؤمن أحد إلا بمشيئته ولو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة ، ولو شاء أن لا يعصى ما خلق إبليس. فكفر الكافرين ، وإيمان المؤمنين؛ بقضائه سبحانه وتعالى وقدره، وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه].

ش :

قوله : [أن الله عز وجل مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها] كما تقدم، وذكرنا أن مراتب القدر عند أهل السنة والجماعة أربع مراتب .

أيضاً ذكر الإرادة هنا بقوله : [أن الله عز وجل مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها] وهذا خلاف لما عليه المعتزلة القدرية كما قدم فإنهم ينفون أن الله عز وجل أراد أعمال العباد أو أنه خلقها.

والإرادة تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : إرادة كونية قدرية، فما أراده الله سبحانه وتعالى كوناً وقدراً لابد أن يقع ، وهذه الإرادة متعلقة بالخلق وهو أنه يريد سبحانه وتعالى أن يفعل ومن أمثلتها قول الله عز وجل : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كانما يصعد في السماء ﴾ .

القسم الثاني: الإرادة الشرعية الدينية وهي المتعلقة بالأمر ، وهي أن يريد الله عز وجل من عبده أن يفعل . ودليلها قول الله عز وجل: ﴿ ما يريد الله أن يجعل عليكم في الدين من حرج ﴾.

والفرق بين الإرادتين :

أولاً: الإرادة الكونية القدرية لابد من وقوعها ،أما الإرادة الشرعية الدينية فقد تقع وقد لا تقع .

ثانياً: الإرادة الكونية القدرية بمعنى : المشيئة ،أما الإرادة الشرعية الدينية فهي بمعنى: المحبة .والإرادتان تجتمع في حق المطيع ، وفي حق العاصي توجد الإرادة الكونية القدرية دون الإرادة الشرعية الدينية.

وقوله: [فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقدره]

كفر الكافرين بالإرادة الكونية القدرية وإيمان المؤمنين بالكونية القدرية وبالشرعية الدينية.

[الله تعالى يرضى الإيمان ويسخط الكفر]

قوله : [ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية.

قال الله عز وجل: ﴿ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ .

ش :

في هذا إثبات صفة الرضا والسخط لله عز وجل ، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته تبعاً لحكمته، فالله عز وجل يوصف بالرضا ويوصف بالسخط.

*　　　*　　　*

[لا يحكم لأحد معين أنه من أهل الجنة أو أهل النار]

قوله: [ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث: أن عواقب العباد مبهمة ؛ لا يدري أحد بم يختم له ، لا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار؛ لأن ذلك مغيب عنهم؛ لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان ،ولذلك يقولون: إنا مؤمنون إن شاء الله . [أي من المؤمنين الذين يختم لهم بخير إن شاء الله].

ش :

قوله : [ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة ،و لا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل النار].

هذا هو الأصل ، فالأصل أنه لا يحكم لأحد بعينه بجنة أو نار.

والحكم بالجنة أو النار ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : حكم للجنس أو الوصف ، فهذا يحكم للمؤمنين بأهم من أهل الجنة ، وللكافرين بأهم من أهل النار ، والأدلة على ذلك كثيرة جداً من ذلك قول الله عز وجل: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلا ﴾ .

وأيضاً قوله الله عز وجل في النار : ﴿ أعدت للكافرين ﴾ وأيضاً قول الله عز وجل ﴿ والذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية] .

القسم الثاني : حكم بالعين ، وهذا أكثر أهل السنة والجماعة أنه لا يحكم إلا لمن حكم له النبي -ﷺ- ، والنبي – عليه الصلاة والسلام حكم الجمع من الصحابه بأعيانهم أهم من أهل الجنة ، وأيضاً في القـــرآن وفي السنة حكم لأعيان بالنار .

وممن حكم لهم بأعيانهم بالجنة العشرة المبشرون بالجنة كما في حديث عبد الرحمن بن عوف في مســـند الإمام أحمد وغيره وخديجة كذلك حيث بشرها النبي -ﷺ- فقد جاءه جبريل وبشرها ببيت في الجنة أو قصر من قصب لا صخب فيه ولا نصب وعموماً أزواج النبي ﷺ معه في الدار الآخرة .

وممن حكم لهم بالجنة الحسن والحسين ، وقين بن ثابت – رضي الله عنه وعبد الله بن سلام . وممن حكم له بعينه بالنار : أبو لهب كما في قول الله عز وجل ﴿ سيصلي ناراً ذات لهب ﴾ وأبو طالب عم النبي -ﷺ- فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أنه في صحضاح من نار ، وأنه يلبس نعلان من نار .

فهذا ما عليه أكثر أجعل السنة والجماعة أنه لا يحكم لأحد بعينه بالجنة والنار إلا لمن ورد الحكم عليـــه بعينه .

والرأي الثاني :- وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أن من اتفقت الأمة في الثناء عليه أنه يحكم له بعينه ، ولهذا كان بعض السلف يحكم لأناس بأعيانهم بالجنة ، كما حكم للحسن البصري والإمام أحمد وغييرهم من السلف رحمهم الله – ويستدل لذلك بحديث عمر – رضي الله عنه تعالى عنه – في الجنازة أخر فأثنوا عليها خيراً فقال النبي -ﷺ- - وجبت ومر بجنازة أخرى فأثنوا عليها شرا فقال النبي -ﷺ- : وجبت ، فسأل عمر النبي -ﷺ- عن ذلك فقال : أنتم شهداء الله في أرضة ، ، هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار .

[من مات على الإسلام عاقبته الجنة من مات على الكفر فهو مخلد في النار]

قوله :[ويشهدون لمن مات على الإسلام أن عاقبته الجنة ؛ فإن الذين سبق القضاء عليهم من الله يعذبون بالنار مدة – لذنوبهم التي اكتسبوها ولم يتوبوا منها – فإنهم يردون أخيراً إلى الجنه ، ولا يبقى أحد في النار من المسلمين ، فضلاً من الله ومنة.

ومن مات – والعياذ بالله – على الكفر فمرده إلى النار ، لا يخوا منها ، ولا يكون لمقامه فيها منتهي] .

ش:

من مات على التوحيد وفعل شيئاً من الكبائر فإنه وإن عذب مآله يكون إلى الجنة ، كما تقدم لنا في كتاب الإيمان في أحاديث الشفاعة وغيرها .

* * *

[نشهد بالجنة لمن شهد له الرسول -ﷺ-]

قوله: [فأما الذين شهد لهم رسول الله -ﷺ- من أصحابه بأعيانهم ؛ فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك ؛ تصديقاً منهم للرسول -ﷺ- فيما ذكره ووعده لهم ، فإنه – ﷺ- لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك . والله تعالى أطلع رسوله -ﷺ- على ما شاء من غيبه . وبيان ذلك في قوله عز وجل : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ .

وقد بشر -ﷺ- عشرة من أصحابة بالجنة ؛ وهم أبو بكر ، وعمر، وعثمان ، وعلي ، وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ، وسعيد ، وأبو عبيدة بن الجراح . وكذلك قال الثابت بن

قيس بن شحاس : " إنه من أهل الجنة " قال أنس بن مالك : فلقد كان يمشي بين أظهرنا ، ونحن نقول إنه من أهل الجنة] .

ش:

وكذلك الحسن والحسين كما تقدم وأزواج النبي -ﷺ- وعبد الله بن سلام ، فهؤلاء كلهم من الجنة .

[أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة]

قوله:[ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله -ﷺ- أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، وأنهم الخلفاء الراشدون ، الذين ذكر رسول الله – ﷺ- خلافتهم بقوله – فيما رواه سعيد بن جمهان ، عن سفينة – (الخلافة بعدي ثلاثون سنة) وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوضي ، على ما أخبر عنه الرسول -ﷺ-].

ش:

هذا هو ما عليه جمهور السلف ، فأفضل الصحابة – رضي الله عنهم – بعد النبي – ﷺ- أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . وفي حديث ابن عمر في الصحيحين قال : كنا نفاضل على عهد رسول الله – ﷺ- أوب بكر ثم عمر ثم عثمان . وفي رواية : تبلغ النبي -ﷺ- ولا ينكره .

وورد عن علي – رضي الله عنه – كما في البخاري أنه قال : أفضل هذه الأمة بعد بنيها أبو بكر ثم عمر .

وقد ذكر الذهبي – رحمه الله – أن هذا متواتر عن علي – رضي الله عنه –

وقد ورد عن أبي حنيفة – رحمه الله – أنه يقدم علياً على عثمان .

وورد عن مالك – رحمه الله – التسوية بين علي وعثمان ، وقيل : إنه رجع لما اجتمع به أيوب السختياني .

وعلى كل حال فأهل السنة والجماعة يفضلون أبا بكر وعمر لا إشكال في ذلك ، في هذا رد على الرافضة ، فإنهم يفضلون عليا على أبي بكر وعمر ، وهذا خلاف ما اتفق عليه أهل السنة .

وأهل السنة اختلفوا في عثمان وعلي ، لكن الرافضة – قبحهم الله – يقومون علياً على عثمان مع أن علي كما تقدم قال : أفضل هذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر ثم عمر . وكما قال الذهبي هذا متواتر عنه .

وقال الإمام أحمد – رحمه الله – وأيوب السختياني : من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، أي انتقصهم ، فإذا كان هذا بين على وعثمان فكيف بالنسبة لأبي بكر وعمر . رضي الله عنهما .

* * *

[إثبات خلافة أبي بكر الصديق]

قوله: [ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر – رضي الله عنه – بعد وفاة رسول الله –ﷺ– ، باختيار الصحابة واتفاقهم عليه ، وقولهم قاطبة : (رضيه رسول الله –ﷺ– لديننا فرضيناه لدنيانا) . [يعني أنه استخلفه في إقامة الصلوات المفروضات بالناس أيام مرضه – وهي الدين – فرضيناه خليفة للرسول –ﷺ– علينا في أمور ديننا] .

وقولهم : قدمك رسول الله –ﷺ– فمن ذا الذي يؤخرك ، وأرادوا أنه – ﷺ – قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه ، فصلينا وراءك بأمره ، فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إياك ؟.

وكان رسول الله –ﷺ– يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته ، بما يبين للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده ؛ فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا ؛ فانتفعوا بمكانه والله ، وارتفعوا به وارتفقوا ، حتى قال أبو هريرة – رضي الله عنه – والله الذي لا إله إلا هو لو لا أن أبا بكر استخلف لما عبد الله ، ولما قيل له : مه يا أبا هريرة أقام بحجة صحة قوله فصدقوه فيه وأقروا به].

ش:

فرق بين التفضيل بين علي وعثمان فهذ وقع فيه خلاف بين أهل السنة كما تقدم ، لكن بالنسبة للخلافة فالخلاف فيها ليس كالخلاف في التفضيل ، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – من طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله . ففرق بين المسألة الخلافة ومسألة التفضيل . فالتفضيل كما تقدم الأمر فيه واسع وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أنه لا يضلل فيها المخالف ، وأما بالنسبة للخلافة فإنه يضلل فيها المخالف .

فمذهب أهل السنة والجماعة أن خلافتهم كلها حق ، وأن أحقهم بالخلافة أبو بكر ثم عمر ثم علي – رضي الله عنهم – خلافا لما عليه الرافضة فإنهم – يرون أن الأحق بالخلافة هو علي ، وأن النبي -ﷺ- أوصى له بذلك ، وأن الصحابة – رضي الله عنهم – غصبوه هذا الحق . وهذا باطل .

والإمام أحمد – رحمه الله – يقول : من فضل علياً على أبي بكر وعمر وقدمه عليهما في الفضيلة والإمامة فهو رافضي مبتدع . دون النسب فنسب علي أفضل من نسب أبي بكر وعمر .

ومن أدلة ثبوت خلافة أبي بكر – رضي الله عنه – اتفاق الصحابة – رضي الله عنهم – عليه . واستدل المؤلف – رحمه الله – على أن النبي -ﷺ- قدم أبا بكر في إمامة الصلاة وهذا إشارة على تقديمه في الإمامة العظمى .

[إثبات خلافة عمر بن الخطاب]

قول [ثم خلافة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وأرضاه باستخلاف أبي بكر –رضي الله عنه إياه – ، واتفاق الصحابة عليه بعده ، وإنجاز الله سبحانه – بمكانه في إعلاء الإسلام وإعطاء شأنه – وعده] .

ش:

عمر – رضي الله عنه – هو الأحق بالخلافة بعد أبي بكر ، لأن أبا بكر استخلفه على الناس ، والصحابة رضي الله عنهم – اتفقوا على ذلك .

[إثبات خلافة عثمان]

[ثم خلافة عثمان – رضي الله عنه – بإجماع أهل الشورى ، وإجماع الأصحاب كافه ، ورضاهم به ، حتى جعل الأمر إليه .]

ش:

قال الإمام أحمد – رحمه الله – : ما اجتمعوا على بيعة ما اجتمعوا على عثمان.

وأهل الشورى أجمعوا عليه ، واجمع عليه الصحابة كلهم حتى جعل الأمر إليه .

[إثبات خلافة على ابن أبي طالب]

قوله: [ثم خلافة على – رضي الله عنه ، ببيعة الصحابة إياه ، عرفه ورآه كل منهم – رضي الله عنهم – أحق الخلق وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة ، ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه .

ثم بعد ذلك أحقهم بالخلافة علي – رضي الله عنه – فإنه كان أفضل الصحابة بعد هؤلاء الثلاثة .

فكان هؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدين ، الذين نصر الله بهم الدين ، وقهر وقسر بمكانهم الملحدين وقوى بمكانهم الإسلام ، ورفع في أيامهم للحق الأعلام ، ونور بضيائهم ونورهم وبهائهم الظلام ، وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله عز وجل : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ الآية ، وفي قوله : ﴿ أشداء على الكفار ﴾ .

فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم ، ورعى حقهم وعرف فضلهم فز في الفائزين ، ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم إلى ما تنسبهم الروافض ، والخوارج لعنهم الله ، فقد هلك في الهالكين .

قال رسول الله –ﷺ– وأله وسلم – : (لا تسبوا أصحابي ، فمن سبهم فعليه لعنه الله) .

وقال : (من أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن أذاهم فقد أذاني ، ومن سبهم فعليه لعنة الله)].

ش:

هؤلاء الخلفاء الأربعة الناس فيهم طرفان ووسط ، وأشار المؤلف – رحمه الله – إلى الرافضة والخوارج ؛ لأن الرافضة يكفرون أبا بكر وعمر وعثمان ولا يعتبرون إلا علي بن أبي طالب . أما الخوارج فيكفرون علي – رضي الله عنه – .

وأما أهل السنة والجماعة فهم وسط بين هؤلاء : فهم يترضون على الأربعة كلهم ويعرفون سابقهم وفضلهم وأنهم أفضل الصحابة بعد نبيهم محمد –ﷺ– وأن أحقهم بالخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . خلافاً لما عليه الخوارج فهم يرون كفر علي . والرافضة يرون إمامهم وأن بقية الخلفاء هم الكفرة .

[الصلاة خلف الإمام المسلم ولو كان فاجراً والجهاد مع الأئمة والدعاء لهم وعدم الخروج عليهم]

قوله: [ويرى أصحاب الحديث الجمعة ، والعيدين ، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم ؛ براً كان أو فاجراً .

ويرون جهاد الكفرة معهم ، وإن كانوا جورة فجرة .

ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح .

ولا يرون الخروج عليهم بالسيف ؛ وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف .

ويرون قتال الفئة الباغية ؛ حتى ترجع إلى طاعة الإمام العادل] .

ش:

يرون أيضاً أهل السنة والجماعة من عقائدهم : الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم حتى ولو كان فاجراً . ولا تجوز مخالفته ، ويجب الجهاد معه ، والصلاة خلفه ويدل لهذا قول الله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ وهذا لا إشكال أن الصلاة خلفهم طاعتهم .

وأيضاً قول النبي –عليه الصلاة والسلام –:(من أطاعني فقد أطا ع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعصى الأمير فقد عصاني).

ولا شك أن ترك الصلاة خلفهم من معصيتهم ، والصلاة خلفهم من طاعتهم . وهكذا كان الصحابة – رضي الله عنهم – كابن عمر وابن مسعود وغيرهم كانوا يصلون خلف الأمر وإن كانوا فيهم ظلم وفق كالوليد بن عقبة والحجاج وفي صحيح البخاري لما حوصر عثمان – رضي الله عنه – أتاه رجل فقال :

((إنك إمام عامة ويصلي بالناس إمام فتنة)) فقال عثمان – رضي الله عنه – : الصلاة من أحسن ما يعمل الناس ، فإذا أحسنوا فأحسن معهم ، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءهم .

فعثمان – رضي الله عنهم –وجهه إلى أن يصلي مع أنه يصلي بهم إمام فتنة ، فهذا دليل على ان الإنسان يصلي خلف هؤلاء الأئمة ما دام أنهم مسلمون.

وقوله : [ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح]

صلاح الإمام إذا صلح يترتب عليه خير كثير ، إذ إنه يؤتم به ، ويطاع ، ويقتدى به ؛ لهذا ورد عن الإمام أحمد – رحمه الله – قوله لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان .

وقوله [ولا يرون الخروج عليهم بالسيف ...]

أهل السنة والجماعة لا يرون الخروج على الأئمة ولو كانوا ظلمة ، كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي –ﷺ– قال : ((من رأى من أميره ما يكره فليصبر عليه ، فإن من خرج عن السلطان شبراً مات ميتة جاهلية))

والخروج على السلطان ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : سلطان عدل ، فهذا لا يجوز الخروج عليه بإجماع أهل القبلة .

القسم الثاني : سلطان فاسق ، عنده فسق وظلم ، فهذا مذهب أهل السنة والجماعة أنه لا يخرج عليه .

وعند الخارج يرون الخروج عليه .

القسم الثالث : سلطان فاسق ، وفسقه صار كفراً . فهذا يخرج عليه ما لم يترتب على ذلك ضرر أكبر من الخروج عليه أو ضرر مساوٍ .

[نقص لم يشرح قول صاحب المتن : ((ويرون قتال الفئة الباغية ...))] الشريط الخامس الوجه الثاني .

* * *

[الكف عما شجر بين الصحابة]

قوله: [ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله – ﷺ – وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم ، ونقصاً فيهم .

ويرون الترحم على جميعهم ، والموالاة لكافتهم].

ش:

هذا مذهب أهل السنة والجماعة ، نعتقد أنهم مجتهدون ، وأن المجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر واحد . ونكف ألسنتنا ولا نخوض فيما حصل بين الصحابة – رضي الله عنهم – ؛ لأن هذا يولـد الإحن ويقسي القلوب على الصحابة – رضي الله عنهم –ولهذا قال ابن سيرين – رحمه الله –:

هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله -ﷺ- متواجدون و لم يشهدها إلا ثلاثون فأصحاب رسول الله -ﷺ- يبلغون عشرة آلاف ،ومع ذلك لم يشهدها إلا ثلاثون منهم . والبقية إنما هم كـانوا مـن مسلمة الفتوح و لم يستقر الإسلام في قلوبهم، ومنهم من دخل في الإسلام كيداً له ؛ فحصلت هذه الفتن.

وقوله : [ويرون الترحم على جميعهم ،...]

هذا خلاف ما عليه الرافضة قبحهم الله ، فإنهم لا يرون الترضي على الصحابة، أو موالاتهم ، أو الترحم عليهم ، وإنما يرون أنهم مرتدون إلا بضعة عشرة فقط من الصحابة يعددونهم، وأما ما عداهم فإنهم يرون أنهم خارجون مرتدون عن دين الإسلام.

(تعظيم قدر أزواج النبي ﷺ وأنهن أمهات المؤمنين)

قوله : [وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه – رضي الله عنهن – ، والدعاء لهن ، ومعرفة فضـلهن ، والإقرار بأنهم أمهات المؤمنين] .

ش:

ومن مذهب أهل السنة والجماعة تعظيم قدر أزواج النبي ﷺ – وأنهن يكن معه في الآخرة ، يدل لذلك قول عمار – رضي الله عنه – عن عائشة : إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ، وهـذا أخرجـه البخاري في صحيحة .

وأيضاً قول الله عز وجل : ﴿ ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهـم وذرياتهم ﴾ فقال : وأزواجهم ، فهذا يدل على أن الزوج يلحق زوجه إذا كان صالحاً . في الآخرة .

وقوله : ((أمهات المؤمنين)) كون زوجات النبي – ﷺ – أمهات المؤمنين ، هذا ينقسم إلى قسمين :
القسم الأول : أمهات المؤمنين في الصلة والتقدير والاحترام وعدم الزواج بهن.
القسم الثاني : في النظر والخلوة هنّ كغيرهن . أي : لا يجوز أن ينظر إليهن أو أن يخلى بهن .

* * *

[عدم استحقاق الثواب بالعمل]

وقوله [ويعتقدون ويشهدون أن أحداً لا تجب له الجنة – وإن كان عمله حسناً ، وطريقه . مرتضى – إلاّ أن يتفضل الله عليه ، فيوجبها له بجنه وفضله ؛ إذ عمل الخير الذي عمله ، لم يشير إلا بتيسير الله عز. اسمه ، فلو لم ييسره له ، ، ولو لم يهده لم يهتد له أبداً . ، قال الله عز وجل : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء ﴾ في آيات سواها.

ش :
هذا إشارة إلى مذهب المعتزلة فإنهم يرون : أن الله عز وجل يجب عليه أن يثيب الطائع ، وأن جزاءه ليس تفضلاً من الله وامتناناً ، وإنما جزاء استحقاق ، وهذا لا إشكال أنه باطل ، والصحيح أنه لا يجب على الله شيء ، وأن إثابة الطائعين إنما هو بفضل الله عز وجل – ومنته ورحمته : ، ويدل لذلك قول النبي – ﷺ – : [إنه لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله] ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : [ولا أنا ، إلاّ أن يتغمدني الله برحمة منه]
فهذا ردٌّ لما عليه المعتزلة .

* * *

قوله: [لكل مخلوق أجل محدّد]

ش:
ويعتقدون ويشهدون أن الله عز وجل أجلّ لكل مخلوق أجلاً ، وأن نفساً لن تموت إلاّ بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، وإذا انقضى أجل : المرء فليس إلاّ الموت ، وليس منه فوت . قال الله عز وجل : ﴿ ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .
ويشهدون أن من مات أو قتل فقد انقضى أجله . قال الله عز وجل : ﴿ لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ وقال ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيَّدة ﴾ .

قوله: [وسوسة الشياطين وتسليطهم]

ش: ويعتقدون أن الله . سبحانه خلق الشياطين يوسوسون للآدميين ، ويقصدون استذلالهم ، ويترصدون لهم . قال الله عز وجل : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ .

وأن الله تعالى يسلطهم على من يشاء ، ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء ، قال الله : عز وجل - ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ﴾

وقال : ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ الآية .

ش: ذكر المؤلف هذا الكلام إشارة لخلاف المعتزلة .

(في ذكر السحر وأحكام الساحر)

ويشهدون أن في الدنيا سحراً وسحرة ، إلاّ أهم لا يضرون أحداً إلاّ بإذن الله عز وجل ﴿ وما هم بضارين به من أحدٍ إلاّ بإذن الله ﴾ .

ومن سحر منهم ، واستعمل السحر ، واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذن الله تعالى فقد كفر . وإذا وصف ما يكفر به استتيب ، فإن تاب وإلاّ ضربت عنقه .

وإذا لوصف ما ليس بكفر ، أو تكلم بما لا يفهم : نهي عنه ، فإن عاد عزر .

وإن قال : السحر ليس بحرام ، وأنا أعتقد إباحته : وجب قتله ؛ لأنه استباح ما أجمع المسلمون على تحريمه .

ش:

وهذا أيضاً خلافاً للمعتزلة .

والسحر تتعلق به مسائل نأخذها باختصار :

المسألة الأولى : تعريف السحر .

لغة : هو ما لطف وخفي سببه ، ومنه : السَحَر .

وأما في الاصطلاح : فهو رقى وعزائم وقراءات وأدوية يتوصل بها إلى التأثير على بدن المسحور وعقله .

المسألة الثانية :

هل للسحر حقيقة أم ليس له حقيقة ؟

هذا أيضاً أشار به المؤلف – رحمه الله – إلى خلاف المعتزلة ، فإنهم لا يرون أن للسحر حقيقة .

وأمّا أهل السنة والجماعة فيقولون : بأن له حقيقة واستدلوا على ذلك بأدلّة منها:

قوله الله عز وجل ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، ومن شر غاسق إذا وقب ، ومن شر النفاثات في العقد ﴾ فقوله تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) هو الشاهد ، فالله عز وجل أمر بالاستعاذة من السحر مما يدل على أنه له حقيقة ، ولو لم يكن له حقيقة ، لم يأمر الله عز وجل بذلك .

وأيضاً قول الله عز وجل : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجة ﴾.

وأيضاً لبيد بن الأعصم سحر النبي -ﷺ-

الرأي الثاني : رأي المعتزلة ، ويقولون : بأن السحر لا حقيقة له : قول الله عز وجل : ﴿ يخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى ﴾ .

والصحيح بأن يقال : بأن السحر ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : سحر حقيقي ، يؤثر في بدن المسحور ، وعقله ، وإرادته ويمرضه ، وقد يقتله ، كما حصل للنبي عليه الصلاة والسلام .

القسم الثاني : سحر تخييلي ، مجرّد تخييل ، وهذا كما حصل من سحرة فرعون للناس . فالصحيح أن السحر ينقسم إلى هذين القسمين .

المسألة الثالثة : هل السحر كفر ويكفر به الساحر أم لا ؟

هذا موضع خلاف بين أهل العلم . فأهل العلم اختلفوا على رأيين . والصواب في ذلك أن يقال : بأن السحر ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : ما هو كفر .

القسم الثاني : ما ليس بكفر ، وإنما هو كبيرة من كبائر الذنوب .

فالسحر الذي يكون عن طريق الشياطين والاستعانة بهم في التأثير على المسحور . هذا كفر .

والقسم الثاني : هو ما يكون كبيرة ، وهو ما إذا كان عن طريق الأدوية والعقاقير ، فنقول بأن هذا كبيرة من كبائر الذنوب .

المسألة الرابعة : هل يقتل الساحر أم لا ؟

هذا موضع خلاف بين أهل العلم – رحمهم الله - ، والصواب أنه يقتل مطلقاً سواءً قلنا بأن سحره كفراً أو قلنا بأنه كبيرة من كبائر الذنوب ، لورود ذلك عن عمر – رضي الله عنه – كما في أثر بجالة ،

وكذلك أيضاً وروده عن حفصة – رضي الله عنها – وما دام أنه وارد عن الصحابة – رضي الله عنهم – ، فنقول بأنه يقتل .

المسألة الخامسة : هل نقبل توبة الساحر أم لا ؟

هذا موضع خلاف بين أهل العلم .

فبعض العلماء قالوا : نقبل توبته ، للعمومات قال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون ﴾ . وأيضاً قول النبي – ﷺ- : ((إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل)).

والرأي الثاني : أنه لا تقبل توبته ، لأن هذا أمر خفي لا يمكن الإطلاع عليه وعلى هذا لا تقبل توبته ففي الظاهر لا تقبل توبته بل يقتل ، وأمّا في الباطن أمره إلى الله عز وجل والأقرب في ذلك : أنه تقبل توبته إذا دلّت القرائن على ذلك .

المسألة السادسة : إتيان السحرة .

إتيان السحرة ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول : أن يأتيهم ويصدقهم في الغيب المطلق . فهذا كفر مخرج من الملّة لأنه حرف شيئاً من خصائص الخالق للمخلوق .

القسم الثاني : أن يأتيهم ويسألهم ويصدقهم في الغيب النسبي مع اعتقاد أن الشياطين لا تخبرهم . وهذا أيضاً كفر أكبر مخرج من الملّة ؛ لأن علم الغيب من خصائص الله ﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلاّ الله ﴾ .

القسم الثالث : أن يسألهم ويصدقهم في الغيب النسبي مع اعتقاد أن الشياطين أن تخبرهم فهذا تترتب عليه عقوبتان :

العقوبة الأولى : أنه كفر أصغر ليس مخرجاً من الملّة .

العقوبة الثانية : أنه لا تقبل صلاته أربعين يوماً .

ويدل لهذا حديث بعض أزواج النبي –ﷺ – أنه قال : ((من أتى عرّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً)) وهذا في مسلم .

وأيضاً حديث أبي هريرة أن النبي – ﷺ – قال : ((من أتي عرافاً أو كاهناً فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)) وهذا أخرجه الحاكم وإسناده صحيح وكذلك ورد عن ابن مسعود بإسناد صحيح نحوه في البزار .

القسم الرابع : أن يأتي الكهان والسحرة فقط . مجرّد إتيان . فهذا حرام ولا يجوز ، ويدل لذلك ما في حديث معاوية بن الحكم أنه قال : يا رسول الله إن منّا رجال ، يأتون الكهان . قال : لا تأهم :

القسم الخامس : أن يأتيهم لكي يبين ضلالهم ودجلهم وكذبهم . فهذا حق . ويدل لهذا أن النبي –ﷺ – أتى ابن صياد ، وسأله .

المسألة السابعة : حلّ السحر .

حلّ السحر ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : حل السحر بالرقى والقراءات والأدعية المباحة ، فهذا حق ويدل لذلك أن النبي –ﷺ – رقاه لّما سحر جبريل : عليه السلام .

القسم الثاني : حل السحر بسحر مثله . فهذا أكثر أهل العلم على أنه محرم ولا يجوز لما تقدم من حديث بعض أزواج النبي –ﷺ– وحديث أبي هريرة ((أن من أتى كاهنا فسأله وصدقة فقد كفر بما أنزل على محمد)) .

وورد عن ابن المسيب جواز ذلك مطلقاً .

والرأي الثالث : أنه يجوز عند الضرورة . لقول عائشة – رضي الله عنها – للنبي – ﷺ – : لّما سحر :" صلاّ تنترت" . لكن حمله أهل العلم على أن المراء بالنشرة حل السحر بالقراءات والأدعية المباحة والقرآن ونحو ذلك . وهذا القول هو الصواب . إشكاله .

* * *

[تحريم المسكر من الاشربة]

ويحرم أصحاب الحديث المسكر من الأشربة ، المتخذ من العنب أو الزبيب ، أو التمر ، أو العسل ، أو الذرة أو غير ذلك مما يسكر ، يحرمون قليله وكثيرة ، ويحبسونه ، ويوجبون به الحدّ .

ش:

المؤلف رحمه الله أشار بهذا إلى مذهب أبي حنيفة ، لأن أبا حنيفه ينهي الخمر بعصير العنب على تفضيل عند الحنفية ، تقدَّم أن بيناه في باب الأشربة في الفقه .

وأمّا عند جمهور أهل العلم فيرون : أن كل مسكر خمر ، لقول النبي – ﷺ – : " كل مسكر خمر وكل خمر حرام " وهذا القول الصواب .

قوله : [ويحبسونه]

هذا موضع خلاف ، هل الخمر نجس أو ليس نجساً ؟

فالرأي الأول : وعليه الأكثر أنه كما ذكر المؤلف – رحمه الله – لقول الله – عز وجل – : والرأي الثاني : أنه طاهر لأن النبي – ﷺ – لّما حرمت الخمر لم يأمر الصحابة – رضي الله عنهم – بغسل أوانيها وأيضاً خرج بها الصحابة – رضي الله عنهم – وأراقوها في طرق المدينة .

* * *

[المحافظة على إقامة الصلوات]

ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات ، وإقامتها في أول الأوقات ، أفضل من تأخيرها إلى أواخر الأوقات .

ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام .

ويأمرون بإتمام الركوع والسجود حتماً واجباً ، ويعدون إتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما ، والارتفاع من الركوع ، والانتصاب منه ، والطمأنينة منه ، وكذلك الارتفاع من السجود ، والجلوس بين السجدتين ، مطمئنين فيه – من أركان الصلاة التي لا تصح إلاّ بها .

ش:

بالنسبة لهذه المسائل التي ذكرها المؤلف رحمه الله – هذه من المسائل الفقهية ، واختلف فيها الأئمة رحمه الله .

والمسارعة إلى أداء الصلوات أيضاً موضع خلاف .

فالحنفية الأصل عندهم التأخير .

وعلى عكس من ذلك الشافعية فالأصل عندهم التقديم .

والصحيح من هذه المسألة أن يقال : الذي دلت عليه السنة ، هو تقديم الصلاة في أول وقتها إلاّ في حالتين :

الحالة الأولى : صلاة العشاء الآخرة ، فالسنة فيها أن تؤخر إلى أخر الوقت أي : إلى قرب نصف الليل .

الحالة الثانية :صلاة الظهر في شدة الحر ، فالسنة أن تؤخر إلى قرب صلاة العصر .فعندنا هاتان الصلاتان هما اللتان تؤخران، وما عدا ذلك فإن السنّة التقديم.

والأدلة على التقديم كثيرة منها :

قول الله عز وجل :﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ﴾ ودلوكها هو زوالها .

أيضاً : الأمر بالمسارعة إلى الخيرات ، مثل قول الله عز وجل : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ .

وأيضاً : حديث عائشة – رضي الله عنها – أن النبي –ﷺ- كان يصلي الفجر بغلس ، ويشهد معه نساء المؤمنات متلفعات بمرطهن ، ثم ينفتلن ما يعرفهن أحد من الغلس .

وأيضاً : يدل لهذا حديث جابر ، رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ – كان يصلي الفجر بغلس .

وحديث إمامة جبريل بالنبي – ﷺ – فإنه صلى المغرب عند غروب الشمس .

وأيضاً : ما ورد أن النبي – ﷺ – كان يصلي الظهر بالهاجرة .

وقوله [ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلق الإمام]

أيضاً : هذا من المسائل الفقهية .

والمؤلف – رحمه الله – نص على هذه الأشياء؛ لأن هذا مذهب الشافعي فيها.

فالشافعي – رحمه الله – يرى قراءة الفاتحة في كل ركعة مطلقاً . وهو أوسع المذاهب في إيجاب قراءة الفاتحة ، فيرى أن قراءة الفاتحة واجبة ، في كل ركعة ، في كل صلاة ، من كل مصلٍّ. سواءً كانت الصلاة فرضاً أو نفلاً ، أو كانت سرية أو جهرية ، وسواء كان إماماً أو مأموماً أو منفرداً . ويأخذون بحديث عبادة بن الصامت في الصحيحين أن النبي – ﷺ – قال : ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)) وأيضاً حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –

والصحيح من ذلك : أن قراءة الفاتحة واجبة في كل ركعة على الإمام والمنفرد والمأموم إلاّ أنه يستثنى من ذلك إذا كانت الصلاة جهرية ، فالركعات التي يجهر فيها الإمام ، فإنه يتحمل عن المأمومين ، أمّا الركعات التي لا يجهر فيها فلان للمأموم أن يقرأ مثل : الثالثة من المغرب والثالثة والرابعة من العشاء .

وقوله [ويأمرون بإتمام الركوع والسجود حتماً واجباً ،....]

هذا أيضاً من المسائل الفقهية التي يخالف فيها الحنفية ، وهذه المسائل التي ذكرها المؤلف – رحمه الله – كلها يخالف فيها الحنفية، وهو على مذهب الشافعي.

فالمشهور عند الحنفية أن الطمأنينة ليست ركناً ، لكن الذي دلّ له حديث أبي هريرة في قصة المسيء صلاته ، أم النبي – ﷺ – قال : ((ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً)) وفي لفظ : ((حتى تطمئن قائماً)) ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً)) .

فالصحيح أن الطمأنينة فرض كما في هذا الحديث .

وقوله [والارتفاع من الركوع ... ، وكذلك الارتفاع من السجود ، والجلوس بين السجدتين ...]

أيضاً : هذه من المسائل الفقهية التي يخالف فيها الحنفية ، فالحنفية لا يرون أن الرفع من الركوع فرض ويرون أنه سنة .

أيضاً : الاعتدال من السجود لا يرون أنه فرض ، ويرون أنه سنة .

وعلى مذهبهم لو أهوى شخص من الركوع إلى السجود صحت صلاته .وبالنسبة للسجود يقولون : يكفي أن يرفع رأسه لكي يميز بين السجدتين .

لكن هذا لا إشكال أنه ضعيف ، فإن النبي – ﷺ – قال للمسيء صلاته :

" ثم أرفع حتى تعتدل قائماً " وفي لفظ : " حتى تطمئن " وأيضاً قال " ثم أرفع حتى تعتدل جالساً " وفي لفظ :" حتى تطمئن " . فالصحيح في ذلك : أنه لا بد من الاعتدال من الركوع ، وأن يطمئن في ذلك ، وأيضاً يعتدل من السجود ويطمئن في ذلك . هذا هو الصواب .

وسبب ذهابهم إلى هذا القول أخذهم بقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ﴾

قالوا : الذي دل عليه القرآن الركوع والسجود . وعندهم قاعدة : يقولون بأن ما زاد على النص نسخ ، والآحاد لا ينسخ المتواتر ، والسنة آحاد لا تنسخ . المتواتر . لكن هذه القاعدة ضعيفة .

* * *

[التواصي بفعل الخير]

ويتواصون بقيام الليل للصلاة . بعد المنام ، وبصلة الأرحام ، وإفشاء السلام وإطعام الطعام ، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام ، والاهتمام بأمور المسلمين ، والتعفف في المأكل والمشرب ، والمنكح ، والملبس ، والسعي في الخيرات ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع ، واتقاء سوء عاقبة الطمع ، ويتواصون بالحق والصبر .

ش: أيضاً هذا مذهب أهل السنة والجماعة أهم يتواصون بهذه الأشياء .

والسلف وأصحاب الحديث كانوا يوصي بعضهم بعضاً على قيام الليل ، وعموماً يتواصون بالمسابقة إلى الخيرات ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ ويؤخذ من هذا أنه ينبغي أن يتواصى أهل الإسلام بالخيرات ، وأن يحث كل واحدٍ الآخر على ذلك لأن هذا من عقائد السلف – رحمهم الله –

وقيام الليل فيه فضل عظيم ، وأجر كبير ، وله آداب وأحكام ، وقد ألفت فيه مؤلفات مستقلة ومن أحسنها كتاب قيام الليل للمروزي . وبعض أهل العلم يوجبه على النبي – ﷺ – والأدلة عليه كثيرة من القرآن والسنة .

فمن القرآن قول الله عز وجل : ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ ، وأيضاً : قول الله تعالى – عز وجل – : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وأيضاً : قول الله عز وجل ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾، وأيضاً قول الله عز وجل : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وأيضاً : قول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ ، والآيات في هذا كثيرة جداً .

ومن السنة حديث عائشة – رضي الله عنها – وحديث المغيرة – رضي الله عنه – في الصحيحين أن النبي – ﷺ – كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، وحديث حذيفة أنه قام مع النبي – عليه الصلاة والسلام – فافتتح البقرة ، فقلت : يركع عند المئة ، فمضى إلى أن ذكر أنه افتتح سورة النساء وسورة آل عمران . أي : ما يقرب من خمسة أجزاء . وأيضاً حديث ابن مسعود في الصحيح – صحيح البخاري وغيره – أنه قال : قمت مع النبي – ﷺ – حتى هممت بأمر سوء . قيل : وما هممت به ؟ قال : هممت أن أجلس وأدعه .

وأيضاً : في حديث : عبد الله بن سلام أن النبي – ﷺ– قال :" أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام " فهذا شاهد لما ذكره المؤلف – رحمه الله – وهذا الحديث أخرجه الترمذي وحسنه . وأيضاً : صلة الرحم دل عليها القرآن والسنة والإجماع ، والسلف يتواصون على ذلك . فمن القرآن قول الله عز وجل : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ . وأيضاً قول الله عز وجل : ﴿ وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ﴾ وقوله تعالى :﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ ﴾ ﴿ وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ ﴾ . ومن السنة قول النبي –ﷺ– كما في الصحيحين ، حديث جبير بن مطعم : (لا يدخل الجنة قاطع) أي : قاطع رحم وما تقدم أيضاً من حديث عبد الله بن سلام – رضي الله عنه –

وقوله : [وإفشاء السلام ، ...]

أيضاً : من عقائد السلف إفشاء السلام ، والتواصي على ذلك .

وإفشاء السلام وفضله الأدلة عليه كثيرة . ومن ذلك : قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ .

ومن السنة قول النبي – ﷺ – : ((أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام)) وأيضاً ما سبق أن أشرنا إليه من حديث عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – وأيضاً : قول النبي –ﷺ– : " إياكم والجلوس في الطرقات " قالوا يا رسول الله : ما لنا بُّد من مجالسنا ، قال : " فإن أبيتم فأعطوا الطريق حقه " قالوا : وما حقه ... إلى أن قال : ((ورد السلام)) .

وأيضاً : ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ، أن النبي – ﷺ – قال ((حق المسلم على المسلم خمس)) وذكر منها: ((وإذا ألفيته فسلّم عليه))

والآثار في هذا كثيرة من السنّة وآثار الصحابة .

وقوله [وإطعام الطعام ،...]

أيضاً : إطعام الطعام فيه فضل عظيم ، وأمر كبير ، ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ، وأيضاً ما تقدم من حديث عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – .

وقوله :[والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام]

أيضاً هذا من هدي السلف – رحمهم الله – والآثار في هذا كثيرة جداً .

من ذلك : عمومات أدله الصدقة ، كما قال الله – سبحانه وتعالى – : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ وقال الله – عز وجل – ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ ﴾ . وقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ وقول الله عز وجل : ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ .

ومن السنة قول النبي – عليه الصلاة والسلام – : ((من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)) وقوله – ﷺ – : ((من فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة)) وقوله – ﷺ – ((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)) .

وأيضاً – حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله وذكر منهم : "رجل تصدق بصدقة ، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ".

وأيضاً : قول النبي – ﷺ – في حديث معاذ في الترمذي وغيره : (والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفـئ الماء النار) .

وقوله : [والأيتام]

أيضاً : قول النبي – ﷺ ح : ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)) وقوله – عليـه الصلاة والسلام – : ((أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة)) – وأشار بالسبابة والتي تليها – .

وقوله : [والاهتمام بأمور المسلمين]

هذا أيضاً من عقائد السلف . وهذا ظاهر . فالسلف يتناصرون في مشارق الأرض ومغاربها ، ويعنـون بإخوانهم المسلمين وينصرونهم بالمال والبدن والدعاء وتقدم أن ذكرنا شيئاً من الأدلّة على ذلك .

وقوله : [والتعفف في المأكل والمشرب والمنكح والملبس] .

التعفف يعني : التقلل . والزهد في مثل هذه الأشياء . وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله – ، وكذلك أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – لّما تكلموا عن الزهد والورع ففرقوا بينها فقالوا : بأن الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة .

والورع: ترك ما يخشى ضرره في الآخرة وقوله [والمنكح] أما بالنسبة لترك المنكح بالكلية فهذا خلاف السنة . لكن يبقى علينا لو أن الإنسان تعفن في المنكح واقتصر على واحدة . هل نقول بأن هـذا هـو السنة ، أو نقول بأن السنة أن يعدد ؟ الذي يظهر الثاني ، أن السنة التعدد إذا كان الإنسان عنده قـدرة مالية وبدنية . وأيضاً يفرق بين مسألة الزهد في الدنيا ، ومسألة الزهد في الدنيا ، ومسألة الامتناع عـن الطيبات . فكون الإنسان يتقلل هذا شيء لكن حصلت للإنسان الطيبات فإن الورع عنـها وتركهـا مذموم ، أي : كون الإنسان يتقلل من الدنيا ولا يحرص على جمعها فهذا .

هو الزهد المستحب لكن لو حصل له شيء من الطيبات مثل لو حصل له طعام لذيذ أو حلـوا أو نحـو ذلك فكونه يترك الأكل من هذا زهداً . فهذا من الورع المذموم . بل هدي النبي – ﷺ – كما أنه زهد في الدنيا لكنه لا يرد الطيبات . فهو لا يرد موجوداً ولا يتكلف مصدوماً . فقوله [المنكح] فيه تفضيل:

أ–إن كان قصده الزهد في المنكح أي عدم النكاح . فهذا خلاف ما عليه أهل السنة .

ب–وإن كان قصده التقلل من المنكح أي عدم الإكثار من ذلك . وهذا لعله قصده . والمؤلف شافعي ، والشافعي رحمه الله – يرى : أن التخلي لنوافل العبادة أفضل من النكاح . فهو يحتمـل الأول ويحتمـل الثاني مراد المؤلف – رحمه الله الثاني ولو كان ذلك مراده فنقول : الأقرب إلى السنة التعدد وفي حديث ابن عباس في البخاري أنه قال : خير هذه الأمة أكثرها نساءً ولما يترتب على التعدد من مصالح كثيرة .

وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله – أن الزهد ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول : ما كان فرضاً ، يعني: زهد واجب . وهذا هو الزهد في الحرام.

القسم الثاني : ما كان مستحباً ، أي : زهد مستحب . وهذا درجات : فمن درجاته الزهد في المكروهات .

ومن درجاته الزهد في فضول المباحات ، التعفف في الشهوات . وهذا هو الذي أشار إليه الشيخ أبو عثمان .

القسم الثالث : زهد المشمرين إلى الله – عز وجل – وهذا ينقسم إلى قسمين:

الأول : الزهد في الدنيا جملة ، وذلك بإخراجها من القلب ، وليس من اليد ، بل المراد إخراجها من القلب ، والمعنى : أنها لا تسكن قلبه ولا يلتفت إليها ، وإنما تكون في يده ، ومن ذلك قول النبي – عليه الصلاة والسلام –: ((مالي وللدنيا ، وإنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم تركها)) ؛ ولهذا كان النبي – ﷺ – يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ؛ لأن الدنيا ليست في قلبه وما تعلق بها ، وإنما كانت في يده . وأعطى رجلاً غنماً بين جبلين ، وهذا لا يكاد أحد يعطى هذا العطاء إلاّ إنسان الدنيا ليست في قلبه ؛ ولهذا من حديث ابن عباس كان النبي – ﷺ – أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن . وكان رسول الله – ﷺ – أجود بالخير من الريح المرسلة ، وهكذا الصحابة – رضي الله عنهم – كانت الدنيا في أيديهم و لم تكن في قلوبهم . هذا القسم الأول من زهد المسمرين إلى الله .

الثاني : الزهد في النفس . وهذا أصعبها وأسفها ، كما ذكر ابن القيم – رحمه الله – وهو أن يزهد المسمرين إلى الله سبحانه وتعالى .

فأصبح الزهد ينقسم إلى ثلاثة أقسام : زهد فرض ، وزهد مستحب ، وزهد أعلى من ذلك وهو زهد المثمرين إلى الله .

وقوله : [والسعي في الخيرات] .

هذا ظاهر . فحال السلف – رحمة الله عليهم – كانوا يسعون في الخيرات ، ومن يقرأ من كتب التراجم والسير والتاريخ يرى حرصهم ، وكيف الصحابة – رضي الله عنهم – وأيضاً كيف كان التابعون ومن تبعهم بإحسان ، وكيف سارعوا إلى عموم الخيرات ، من الدعوة إلى الله عز وجل ، وتعليم العلم ، والجهاد في سبيل الله ، ويفرة الحق – تركوا أوطانهم وأموالهم ، كل ذلك من المسارعة في الخيرات

وقوله : [والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

المعروف : هو ما جاء به الشرع . أو ما عرف حسنه في الشرع .

والمنكر : ما نهى عنه الشرع أو ما عرف قبحه في الشرع :

فيتواصون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والأمر بالمعروف والنهي عن : المنكر .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أدلته كثيرة .

ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ ، وقول الله عز وجل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ .

ومن السنة حديث جرير بن عبد الله أنه قال : بايعت رسول على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .

وقوله : [واتقاء سوء عاقبة الطمع]

الطمع : هو التطلع إلى مالا يستحقه .

والطمع عاقبته وخيمة ، فكون الإنسان يطلب شيئاً لا يستحقه ويطمع فيه هذا عاقبته وخيمة .

وقوله : [ويتواصون بالحق والصبر]

كما قال الله عز وجل : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

[المحبة في الدين والبغض فيه]

قوله :[ويتحابون في الدين ويتباغضون فيه ، ويتقون الجدال في الله والخصومات فيه ، ويجانبون أهل البدع والضلالات ، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات] ويقتدون بالنبي – ﷺ – وبأصحابه الذين هم كالنجوم بأيهم اقتدوا اهتدوا ، كما كان رسول الله – ﷺ – يقوله فيهم ، ويقتدون بالسلف الصالحين ، من أئمة الدين وعلماء المسلمين ، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين ، من الدين المتين والحق المبين] .

ش:

أهل السنة والجماعة يتحابون في الدين ويتباغضون فيه أي : المحبة التي تكون بينهم من أجل الـــدين . ؛ ولهذا كل ما كان الإنسان أكثر ديناً وتقاً كلما كانت محبته أكثر .

وإذا وجد بغضاء فإنهم يتباغضون لأجل الدين ، ليس لأجل الدنيا . فالمحبة والبغضاء لا تكـــون لأجـــل الدنيا ، فلا يحب الشخص لأجل ماله أو منصبه أو نحو ذلك ، وإنما يحب لأجل دينه ، ولكونه مسلماً ، ولكونه تقيا ، ويبغض لكونه كافرا أو لكونه فاسقاً أو لكونه مبتدعاً .

والبغض والمحبة على درجات .

والأصـــل في ذلـــك الأدلـــة الكـــثيرة في الـــولاء والـــبراء مـــن ذلـــك قـــول الله عـــز وجـــل : ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وأيضاً قول النبي – ﷺ – ((أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعـــاداة في الله)) وفي الحديث القدسي : ((وجبت محبتي للمتحابين في للمتباذلين في))

وقوله : [ويجانبون أهل البدع والضلالات ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات]

أي : يبتعدون عن أهل البدع والضلالات . ويعادون أهل الأهواء والجهالات وهذا من باب التكرار في اللفظ . وإلا أهل البدع والضلالات هم أهل الأهواء والجهالات .

فيجانبونهم بمعنى : أنهم يهجرونهم أي : يهجرون أهل البدع .

وسيأتي ما يتعلق بهجرهم ، سيذكره المؤلف رحمه الله .

وقوله : [ويقتدون بالنبي –ﷺ– ، ...]

هذا أمر ظاهر . و الأدلة على ذلك كثيرة جداً ، ومن ذلك : حديث عمرو بن سلمة في الصحيحين لما كان في حجر النبي –ﷺ– قال : فجعلت يدي تطيش في الصحفة . وقال : ((يا غلام سم الله وكـــل بيمينك وكل مما يليك)) قال : فلم تزل تلك طعمتي . فهذا اقتداء بالنبي –ﷺ– .

وكذلك حديث أبي هريرة ، قال : أوصاني خليلي بثلاث ... ثم قال : ما تركتهن منذ بقيت ومثل ذلك قال أبو الدرداء ، ومثل ذلك قال أبو ذر

ومن ذلك : قول معاذ للنبي –ﷺ– : يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ، ويباعدني من النار .

وقوله :[وبأصحابه الذين هم كالنجوم]

أيضاً يقتدون بالصحابة رضي الله عنه وهذا ظاهر .

وقوله :[بأيهم اقتدوا اهتدوا كما كان رسول الله -ﷺ- يقول له فيهم]

هذا الحديث لا يثبت . [أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم] هذا غير ثابت عن النبي -ﷺ- .

وقوله :[ويقتدون بالسلف الصالحين ، من أئمة الدين وعلماء المسلمين ، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين .]

أي : أن التابعين يقتدون بالصحابة ، وأتباع التابعين يقتدون بالتابعين ، فيما تابعوا فيه النبي -ﷺ- مما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- .

[بغض أهل البدع وترك مجالستهم]

قوله : [ويبغضون أهل البدع ، الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه ، ولا يحبونهم ، ولا يصحبونهم ، ولا يسمعون كلامهم ، ولا يجالسونهم ، ولا يجادلونهم في الدين ، ولا يناظرونهم ، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم ، التي إذا مرت بالآذان ، وقرت في القلوب ضرت ، وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت ، وفيه أنزل الله عز وجل قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾].

ش:

هذه المسألة تتعلق بهجر أهل البدع :-

والآثار في ذلك كثيرة عن السلف ، والأصل في الهجر أي : هجر المبتدع القرآن والسنة والآثار .

فمن القرآن قول الله عز وجل : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ وقول الله عز وجل : ﴿ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ وقول الله عز وجل . ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ .

ومن السنة أن النبي -ﷺ- هجر كعب بن مالك وصاحبيه خمسين ليلة ، وهجر زينب بنت جحش قريباً من شهرين لما قالت : أنا أعطي تلك اليهودية – تعني صفيه – وهذا أخرجه أبو داود . وهجر صاحب القبة المشرفة حتى هدمها ، وهجر عمار بن ياسر بترك رد السلام عليه حتى غسل الخلق عنه .

والآثار في هجر الصحابة – رضي الله عنهم – والسلف كثيرة ، من ذلك : أن عمر – رضي الله عنه – هجر زياد بن حدير لما رآه لبس طيلسانا وأعفى شاربه حتى قص شاربه وضلع عنه الطيلسان .
وكذلك ابن عمر – رضي الله عنهما – هجر رجلاً بحذف – بعد أن بين له أن الحذف منهي عنه – :
وأيضاً قال : فضيل بن عياض : من جلس إلى صاحب بدعة فاحذره .
وقال الإمام مالك : لا تجالسوا أهل الأهواء .
ونقل بعض العلماء الإجماع – إجماع الصحابة والتابعين – على مقاطعة أهل الأهواء والبدع ، لكن بالنسبة للهجر فكما تقدم لنا أن بعض أهل العلم يقسمه إلى ثلاثة أقسام :
القسم الأول : هجر واجب ، وهو هجر أهل البدع ، أما الكفار فأمرهم ظاهر لكن زيد هنا من ينسب للإسلام .
القسم الثاني : هجر مستحب . وهو هجر الناس الذي يظهر فسقه .
القسم الثالث : هجر مباح . وهو هجر الفاسق الذي لا يظهر فسقه .
وهذا هو المشهور عند أصحاب الإمام أحمد رحمه الله ، وبعض العلماء يرى أن الهجر كالدواء ، أي : ينظر إلى تحقيق مقاصده الشرعية ، من الزجر والتأنيب : وتحجيم البدعة ، وتخليص السنة وإظهارها ، هل يحققها أو أنه لا يحققها ؟ وإلا الأصل أنه كما قال النبي -ﷺ- : (حق المسلم على المسلم خمس ...)
ومثله قوله : [ولا يجادلونهم في الذين ولا يناظرونهم]
والمناظرة والمجادلة تنقسم إلى قسمين :
القسم الأول : ما كان محموداً ، وهو ما ترتب عليه تحقيق المقاصد الشرعية ، من رد أهل البدع ، وتحجيم بدعتهم .
القسم الثاني : ما كان مذموماً ، وهو الذي لا تتحقق منه مقاصد شرعية ، أو يترتب عليه مساوئ شرعية مثل إظهار البدعة ، أو رفع شأن أهل البدعة ، فيتبين أن ترك المناظرة ليس على إطلاقه فشيخ الإسلام أبن تيمية – رحمه الله – ناظر .
قوله : [ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم] .
وهذا أيضاً ينقسم إلى قسمين : _ بالنسبة لما يتعلق بسماع شبهات أهل البدع والقراءة في كتبهم ونحو ذلك :-
القسم الأول : أن يكون محموداً ، وذلك إذا كان – ممن عنده علم وأراد إبطال هذه النسبة والأباطيل .

فلا بد من هذين الأمرين ، أن يكون عنده تمكن من العلم بحيث لا تضره في دينه ، والأمر الثاني : أن يريد إبطال شبههم . وهكذا حصل مع شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وقد كان – رحمه الله – أعلم بقواعد أهل البدع من أهل البدع ؛ لأنه عرفها ، لكن شيخ الإسلام عنده من العلم ما يمنعه من التأثر بهم .

القسم الثاني : ما كان مذموماً ، وهو أن يكون من شخص ليس عنده علم ، أو عنده علم لكن لا يترتب على ذلك مصلحة شرعية ؛ ولهذا غضب النبي -ﷺ- لما رأى مع عمر قطعة من التوراة وأيضاً كما ذكر المؤلف – رحمه الله – قول الله عز وجل ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ وأيضاً قال النبي -ﷺ- : ((من سمع بالدجال فلينأ عنه)) أي : يبعد عنه ؛ لأن الإنسان إذا جاء إلى الدجال قد يتبعه لما يلقي عليه من الشبه ، فالسلامة لا يعدلها شيء .

* * *

[علامات أهل البدع]

قوله: [وعلامات البدع على أهلها ظاهرة بادية ، وأظهر آياتهم وعلاماتهم : شدة معاداتهم مجملة أخبار النبي -ﷺ- ، واحتقارهم لهم ، وتسميتهم إياهم حشوية ، وجهلة ، وظاهرية ، ومشبهه . اعتقاداهم منهم في أخبار رسول الله -ﷺ- أنها بمعزل عن العلم ، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ، ووساوس صدورهم المظلمة ، وهو أجس قلوبهم الخالية عن الخير ، العاطلة ، وحججهم بل شبههم الرافضة الباطلة ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء ﴾ .

سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول : سمعت أبا على الحسين بن علي الحافظ يقول ، سمعت جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي يقول ، سمعت أحمد بن سنان القطان يقول : (ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث ، فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه) .

وسمعت الحاكم يقول سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنطي ببغداد يقول ، سمعت محمد بن إسماعيل الترمذي يقول : كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند إمام الدين أبي عبد الله أحمد بن حنبل ؛ فقال له أحمد بن الحسن : يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال :

أصحاب الحديث قوم سوء فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول : زنديق ! زنديق ! زنديق : حتى دخل البيت .

وسمعت الحاكم أبا عبد الله يقول ، سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه بخارى يقول ، سمعت أبا نصر بن سلام الفقيه يقول:(ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ، ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده).

وسمعت الحاكم يقول : سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الفقيه – وهو يناظر رجلاً – فقال الشيخ أبو بكر : حدثنا فلان ، فقال له الرجل : دعنا من حدثنا إلى متى حدثنا ؟ فقال الشيخ له قم يا كافر ، فلا يحل لك أن تدخل لأري بعد هذا أبداً ثم التفت إلينا وقال : ما قلت لأحد قط لا تدخل رابي إلا هذا.

سمعت الأستاذ أبا منصور محمد بن عبد الله حمشاد العالم الزاهد يقول ، سمعت أبـا القاسم جعفر بن أحمد المقرى الرازي يقول : قرئ على عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وأنا أسمع : سمعت أبي يقول – عني به الإمام في بلده أباه أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي – يقول : (علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر .

وعلامة الزنادقة : تسميتهم أهل الأثر حشوية ، يريدون بذلك إبطال الآثار .

وعلامة القدرية : تسميتهم أهل السنة مجبرة .

وعلامة الجهمية : تسميتهم أهل السنة مشبهة .

وعلامة الرافضة : تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة .

قلت : وكل ذلك عصبية ، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ؛ وهو أصحاب الحديث .

قلت : أنا رأيت أهل البدع من هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة ؛ سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله – ﷺ– فإنهم أقسموا القول فيه : فسماه بعضهم ساحراً وبعضهم كاهنا وبعضهم شاعراً وبعضهم مجنوناً وبعضهم مفتوناً وبعضهم مفتريا مختلقاً كذاباً ، وكان النبي –ﷺ– من تلك المصائب بعيداً بريئاً ، ولم يكن إلا رسولاً مصطفى نبياً ، قال الله عز وجل : ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾

كذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في جملة أخباره ، ونقله أثاره ، ورواة أحاديثه المقتدين بسنته ، فسماهم بعضهم حشوية ، وبعضهم مشبهة ، وبعضهم نابتة ، وبعضهم ناصبة وبعضهم جبرية].

ش:

ممن علامات أهل البدع شدة معاداتهم لأهل الحديث الذين يحملون أخبار النبي -ﷺ- ويحتقرونهم ويسمونهم بهذه الأسماء :

[حشوية] والحشو هو الذي فائدة منه أولا فائدة فيه ، فهم يسمونهم حشوية أي : عندهم أشياء لا فائدة منها .

وأيضاً يسمونهم : [جهلة] لأنهم يعتبرون أنفسهم أهل المعاني والقياس وأنهم أدرى بما يجب لله من الأسماء والصفات ، ولهذا يسمون أهل السنة جهلة .

ويسمونهم أيضاً : [ظاهرية] ؛ لأنهم لا يحرفون النصوص ، بل يأخذون بظواهر النصوص ، ويثبتون لله عز وجل ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله -ﷺ- فهم يقولون بظواهر النصوص مع إثبات المعاني .

ويسمونهم أيضاً : [مشبهة] ؛ لأنهم يثبتون الصفات ، فيرون أن إثبات : الصفات تشبيهاً .

قوله :[سمعت أحمد بن سنان القطان يقول : ليس في الدنيا مبتدع . إلا وهو يبغض أهل الحديث ، فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قبله] .

هذا فيه مضرة . البدعة ، فمن مضرتها : بغض أهل الحق وأهل الحديث .

ومن مضرتها : نزع حلاوة الحديث من قلبه – نسأل الله السلامة .

وقوله : [فقام أحمد بن حنبل وهو بنفض ثوبه ويقول : زنديق ! زنديق ! زنديق! حتى دخل بيته] هذا من تشديد الإمام أحمد – رحمه الله – ، فهو تبرأ من هذا الكلام بالفعل والقول ، أما الفعل : نفض ثوبه ، تبرأ من هذا الكلام ؛ لأنه إذا كان أصحاب الحديث قوم سوء لم يبق شيء ، فأصحاب الحديث هم حملة حديث – رسول الله -ﷺ- فإذا كانوا قوم سوء لا يوثق بهم معنى ذلك : رد سنة النبي -ﷺ- ولا شك أن رد سنة النبي -ﷺ- ردة ، وكيف نعرف ما يجب لله ، وما يجب لعباد الله إلا بسنة النبي -ﷺ- فالسنة هي التي جاءت بتبيين القرآن ، وتفصيل مجمله ، وتخصيص عامه ، وتقييد مطلقه ؛ ولهذا قال الإمام أحمد : زنديق ! زنديق! حتى دخل البيت .

والزنديق : يطلق على من لا يؤمن باليوم الآخر ، أي : الدهري الذي لا يؤمن باليوم الآخر ، وهذا من حيث اللغة .

ويطلق على المنافق ، فيقال له زنديق ، وهذا لعله مراد الإمام أحمد رحمه الله .

وقوله : [وسمعت الحاكم يقول : سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الفقيه – وهو يناظر رجلاً – فقال الشيخ أبو بكر : حدثنا فلان ، فقال له الرجل : دعنا من حدثنا إلى متى حدثنا ؟ فقال الشيخ له : قم يا كافر ...]

قوله : [وهو يناظر رجلاً] فيه مناظرة أهل البدعة ، كما تقدم أن مناظرتهم لا تمنع على الإطلاق وإنما هي تنقسم إلى القسمين السابقين .

وقوله : [كافر] كما قال الإمام أحمد – رحمه الله – زنديق . وسبق أن ذكرنا أن ردّ السنة كفر .

وقوله : [علامة الزنادقة : تسميتهم أهل الأثر حشوية ...]

تقدم لنا ما المراد بالزنديق .

قوله : [حشوية] الحشو هو الذي لا فائدة فيه ، فهم عندهم أشياء لا فائدة منها . الزنادقة يريدون من ذلك إبطال الآثار .

وقوله : [وعلامة القدرية : تسميتهم أهل السنة مجبرة .]

القدرية – غير الغلاة – ينكرون مرتبتين من مراتب القدر : مرتبة المشيئة ومرتبة الخلق . فيقولون بأن الله عز وجل لم يشأ أفعال العباد ، و لم يخلقها ، وإنما العبد هو الذي يخلق فعل نفسه .

وأهل السنة يقولون : بأن الله شاء فعل العبد وخلقه ، فلما أثبتوا مشيئة الله عز وجل سماهم القدرية : [مجبرة] لأن القدرية يقولون بأن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه ، والله عز وجل لم يشأه ، و لم يرده ، و لم يخلقه ، ولو قلنا بأن الله هو الذي شاءه ، وخلقة وأراده ،لكان مجبراً عليه ، ولهذا يسمون أهل السنة

[مجبرة] لأنهم يثبتون مشيئة الله وخلقه لفعل العبد . لكن هذا باطل ، فالله عز وجل أنزل كتباً ، وأرسل رسلاً ، وهدى ابن آدم النجدين ، طريق الخير وطريق الشر .

وقوله : [وعلامة الجهمية : تسميتهم أهل السنة مشبهة]

لأن أهل السنة يثبتون الأسماء والصفات ، فإذا اثبتوا السمع والبصر واليد والوجه والإصبع قالوا هذا يقتضي التشبيه بالمخلوق .

وقوله : [وعلاقة الرافضة : تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة]

الناصبة : هم الذين ينصبون العداوة لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وأهل البيت . والنابتة : هم الذين نبتوا في الشر .

وقوله :[قلت أنا رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي تبعوا بها أهل السنة ؛...]

هذا من كلام أبي عبد الرحمن إسماعيل الصابوني – رحمه الله – وقوله :

[رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله -ﷺ- فإنهم اقسموا القول فيه سماه بعضهم ساحراً وبعضهم كاهناً ...] هذا من الأدلة على بطلان مذهب المتبعة ، أنهم لهم شبه بالمشركين ، وأن أصلهم هو أهل الشرك الذين رموا النبي – عليه الصلاة والسلام – بهذه الألقاب ، فسلفهم وأصولهم رموا النبي – عليه الصلاة والسلام وهو أصل أهل السنة وأتباعهم رموا أتباع إمام السنة – النبي -ﷺ- .

[براءة أهل الحديث مما رموا به]

قوله [وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعائب بريئة ، نقية زكية تقية ، وليسوا إلا أهل السنة المعنية ، والسيرة المرضية ، والسبل السوية ، والحجج البالغة القوية ، قد وفقهم الله جل جلاله لإتباع كتابه ، ووحيه وخطابه ، والاقتداء برسوله -ﷺ- في أخباره ، التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل ، وزجرهم فيها عن المنكر منها ، وأعانهم على التمسك بسيرته ، والاهتداء بملازمة سنته ، وشرح صدورهم لمحبته ، ومحبة أئمة شريعته ، وعلماء أمته .

ومن أحب قوماً فهو منهم يوم القيامة يحكم قول رسول الله -ﷺ- : (المرء مع من أحب) ...

[من علامات أهل السنة]

قوله: [وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها ، وأنصارها وأوليائها ، وبغضهم لأئمة البدع ، الذين يدعون إلى النار ، ويدلون أصحابهم على دار البوار.

وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ، ونورها بحب علماء أهل السنة ، فضلاً منه جل جلاله ومنه . أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ – أسكنه الله وأيانا الجنة – ثنا محمد بن إبراهيم بن الفضل المزكى ، ثنا أحمد بن سلمة ، قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب (الإيمان) له ، فكان في آخره : (فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري ، ومالك بن أنس ،والأوزاعي ، وشعبة ، وابن المبارك ، وأبار الأحوص ، وشريكاً ، ووكيعاً ، ويحي بن سعيد ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ، فاعلم أنه صاحب سنة) .

قال أحمد بن سلمة رحمه الله : فألحقت بخطي تحته ، ويحي بن يحي وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهوية ، فلما انتهى إلى هذا الموضع نظر إلينا أهل نيسابور وقال : هؤلاء القوم يتعصبون ليحي بن يحي ، فقلنا له : يا أبا رجاء ما يحي بن يحي ؟ قال : رجل صالح إمام المسلمين ، وإسحاق بن إبراهيم إمام ، وأحمد بن حنبل أكبر ممن سميتهم كلهم .

وأنا ألحقت بهؤلاء الذين ذكرهم قتيبة – رحمه الله – أن مبدأ حبهم فهو صاحب سنة ، من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون ، وبهديهم يهتدون ، ومن جملتهم ومتبعيهم وشيعتهم أنفسهم يعدون ، وفي إتباعهم آثارهم يجدُّون – جماعة آخرين :

منهم محمد بن إدريس الشافعي المطلبي ، الإمام المقدم ، والسيد المعظم العظيم المنة على أهل الإسلام والسنة ،الموفق الملقن الملهم المسدد ، الذي عمل في دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم – من النصر لهما والذب عنهما – ما لم يعمله أحد من علماء عصره ومن بعدهم .

ومنهم الذين كانوا قبل الشافعي رحمه الله : كسعيد بن جبير ، والزهري ، والشعبي ، والتيمي.

ومن بعدهم : كالليث بن سعد ، والأوزاعي ، والثوري ، وسفيان بن عيينة الهلالي ، وحماد بن سلمة وحماد بن زيد ويونس بن عبيد ، وأيوب ، وابن عون ، ونظرائهم .

ومن بعدهم : مثل يزيد بن هارون ، وعبد الرزاق ، وجرير بن عبد الحميد .

ومن بعدهم : مثل محمد بن يحي الذهلي ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج القشيري ، وأبي داود السمستاني ، وأبي زرعة الرازى ، وأبي حاتم ، وابنه ، ومحمد بن مسلم بن وارة ، ومحمد بن أسلم الطوسي ، وعثمان بن سعيد الدارمي ، ومحمد بن إسحاق ، بن خزيمة ،– الذي كان يدعي إمام الأئمة ، ولعمري كان إمام الأئمة في عصره ووقته – ، وأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل السبتي ،وجدي من قبل أبوي: أبي سعيد يحي بن منصور الزاهد الهروي ، وعدي بن حمدويه

الصابوني ، وولديه سيفي السنة أبي عبد الله الصابوني ، وأبي عبد الرحمن الصابوني، وغيرهم من أئمة السنة ، الذين كانوا متمسكين بها ، ناصرين لها، داعين إليها، دالين عليها.

وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم؛ بل أجمعوا عليها كلها، واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم وإخزائهم، وإبعادهم وإقصائهم ، والتباعد منهم وعن مصاحبتهم ومعاشرتهم ، والتقرب إلى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم.

قال الأستاذ الإمام رحمه الله: وأنا – بفضل الله عز وجل – متبع لآثارهم، مستضيء بأنوارهم ، ناصح إخواني وأصحابي ألا يزيغوا عن منارهم، ولا يتبعوا غير أقوالهم، ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع، التي اشتهرت فيما بين المسلمين ، وظهرت وانتشرت، ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك الأئمة لهجروه ، وبدعوه ولكذبوه، وأصابوه بكل سوء ومكروه.

ولا يغرّن أخواني – حفظهم الله – كثرة أهل البدع – ووفور عددهم؛ فإن ذلك من أمارات اقتراب الساعة ؛ إذ الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: (إن من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل)والعلم هو السنة والجهل هو البدعة].

ش:

لما ذكر المؤلف – رحمه الله – علامة أهل البدع ، وأن علاماتهم أبرزها علامتان:

العلامة الأولى: بغضهم لأهل الحديث وأهل السنة، وهكذا الآن الرافضة والصوفية يبغضون أهل الحديث والسنة. ومثلهم بقية أهل البدع.

العلامة الثانية : أنهم يلقبون أهل السنة بألقاب هم بريئون منها، كقولهم: جهلة ، حشوية، ناهبة ، نابتة ، مشبهة.

فلما ذكر علامة أهل البدع شرع الآن في بيان علامة أهل السنة.

قوله: [وإحدى علامات أهل السنة: حبهم لأئمة السنة وعلمائها،... وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار ...]

هاتان علامتان : حبهم لعلماء أهل السنة ، بغضهم لأهل البدع.

وهذا التعداد الذي ذكره المؤلف – رحمه الله – ذكره أولاً قتيبة بن سعيد في كتابه " الإيمان " حيث ذكر جملة من علماء السلف، ثم بعد ذلك أحمد بن سلمة ذكر جملة ، ثم المؤلف–رحمه الله – إسماعيل الصابوني ذكر جملة. وما ذكروه هذا على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر، وإلا هناك آخرون من

علماء السنة لم يذكرهم هؤلاء الثلاثة–رحمهم الله– والمقصود أن من كمان صاحب سنة فإنـــه يُحَـــب وكل ما كان أكثر علماً وتقى وورعاً كانت محبته أكثر.

وقوله: [وهذه الجملة التي أثبتها في هذا الجزء كنت معتقد جميعهم ، لم يخالف فيها بعضهم ، بل أجمعوا عليها كلها ...]

تقدم أن ذكرنا خلافا في بعض هذه الجمل وخصوصا ما يتعلق بالمسائل الأخيرة ، لكن هذا من حيث الجملة.

وقوله : [قال الأستاذ الإمام – رحمه الله –]

يعني نفسه المؤلف الصابوني – رحمه الله – .

وقوله : [وأنا بفضل الله – عز وجل – متبع لآثارهم، مستضيء بأنوارهم، ناصح إخواني وأصحابي ألا يزيغوا عن منارهم،...]

في هذا أن الشخص يبين معتقده وأن هذا لا بأس به ، فكون الشخص يبين معتقده وأنه يعتقد كـــذا وكذا هذا لا بأس به. وقد يكون مشروعا إذا ترتب عليه مصلحة ، وليس هذا من تزكية النفس. وهكذا العلماء غير المؤلف – رحمه الله – قبله وبعده كانوا يكتبون في مؤلفاتهم ما يعتقدونه من اعتقـــاد أهـــل السنة والجماعة.

والمؤلف –رحمه الله – بين هنا أنه متبع لآثارهم ومستضيء بأنوارهم وناصح لإخوانه وأصحابه أن لا يزيغوا عن منارهم: أي لا ينحرفوا عن منارهم. والمنار جمع منارة وهي العلامة .

وشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بين ذلك في فتاواه، والشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضاً.

وقوله: [ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع ...]

في هذا أيضاً : مناصحة الإخوان وعموم المسلمين بإتباع واقتفاء هدي السلف – رحمهم الله –.

وقوله : [ولا يغرن إخواني –حفظهم الله – كثرة أهل البدع ،ووفور عددهم..]

الحق لا يعرف بكثرة العدد ، وإنما يعرف بما يدل عليه الدليل من القرآن والسنة ، والله عز وجل يقولك ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ ﴾.

* * *

[فضل التمسك بالسنة]

قوله: [ومن تمسك اليوم بسنة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وعمل بها ،واستقام عليها،ودعا بالسنة إليها، كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة ، في أوائل الإسلام والملة؛ إذ الرسول المصطفى –ﷺ– قال: (له أجر خمسين، فقيل: خمسين منهم؟ قال: (بل منكم) . وإنما قال –ﷺ– ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته.

وجدت في كتاب الشيخ الإمام جدي أبي عبد الله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني رحمه الله ،أنا أبو العباس بن سفيان السندي، أن العباس بن صبيح ، حدثهم ثنا عبد الجبار بن مظاهر، حدثني معمر بن راشد، سمعت ابن شهاب الزهري يقول: (تعليم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة).

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني ،أن أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولي سمعت محمد بن حاتم المظفري يقول : سمعت عمرو بن محمد يقول : كان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد، فحدثه بحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – (احتج آدم وموسى) فقال عيسى بن جعفر: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟ قال: فوثب به هارون وقال : يحدثك عن الرسول –ﷺ– وتعارضه بكيف! قال: فما زال يقول حتى سكن عنه].

ش:

قوله : [تعليم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة]

تعليم السنة هذا لا شك أنه فيه فضل،وإذا أظهرت السنة أميتت البدع ، وإذا أظهرت البدع أميتت السنة ، لكن ترتيب هذا الأجر لابد له من دليل.

وقوله : [فوثب به هارون وقال: يحدثك عن الرسول -ﷺ- وتعارضه بكيف! قال: ما زال يقول حتى سكن عنه]

من هذا تعظيم السلف لسنة النبي -ﷺ- وهذا خلاف ما عليه كثير من الناس اليوم .

فالسلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم كانوا يعظمون سنة النبي -ﷺ- وإذا جاءتهم السنة امتثلوها، وقد سبق أن ضربنا أمثلة لهذا ، وهذا من أمثلته. وأصل ذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾.

وذكرنا فيما تقدم أثر عمرو بن سلمة ،وقال: لما قال النبي – عليه الصلاة والسلام – " كل بيمينك وكل مما يليك وسم الله " لم تزل تلك طعمتي، ولما وصى النبي -ﷺ- أبا هريرة وأبا الدرداء وأبا ذر بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن يوتر قبل أن ينام ، كلٌ منهم قال: فما تركتها منذ سمعتها من النبي -ﷺ- .

[وجوب التسليم بما جاء به المصطفى -ﷺ-]

قوله:[وهكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق ،وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد –رحمه الله – مع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعيه بكيف! على طريق الإنكار والاستبعاد له، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– .

جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ،ويتمسكون في دنياهم مدة محياهم بالكتاب والسنة ؛وجنبنا الأهواء المضلة ، والآراء المضمحلة، والأسواء المذلة ، فضلا منه ومنّة .

آخره، الحمد الله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قد تمت الكتابة في شهر رجب ١٧ منه سنة ١٢٩٧هـ .

[سماعات الكتاب]

قوله: [وجد على الأصل: سمع جميع هذا الكتاب على الشيخ الإمام الأوحد الحافظ تقي الـــدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور ، بسماعه له على أبي الفتح عبد الله بن أحمد الخرقي، أنـــا أبو بكر عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني ، ثنا والدي شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بـــن عبـــد الرحمن فذكره – بقراءة عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي:

محمد بن عبد الواحد ابن أحمد،ومحمد بن عبد الهادي ،وأخوه عبد الحميد ومحمد بن سعد بن عبـــد الله، ومحمد بن إسماعيل بن أحمد المقدسيون ، وآخرون؛ في مجالس آخرها قوم الاثنين السادس عشـــر من جمادى الأولى سنة ٥٨٣هـــ.

وسمعه عليه أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي،وآخرون ؛ في رمضان ومرة أخرى بقراءة محفوظ بن عيسى الأزدي في شوال سنة ٥٩١ ، ومرة أخرى بقراءته في ذي الحجـــة ســـنة ٥٩٢هـــــ والحمد لله.

نقل ذلك الخيضري من خط المزي،ومن خط الخيضري نقلت؛ قاله يوسف بن شاهين سبط بـــن حجر، ومن خطه نقلت ، قاله شيخنا عبد الرحمن بن حسن، ومن خطه نقل.

سمع جميع هذا الكتاب على الشيخ أبي الفضل إسماعيل بن أحمد بن الحسين بـــن محمـــد العراقـــي بإجازته من أبي الفتح الخرقي؛ عن عبد الرحمن ابن المصنف عن أبيه – عبد الرحمن بن أحمد بن عمـــر بن شكر ،وسمعه على الشيخ عبد الرحمن : عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسي.

وسمعه على الشيخ جمال الدين ابن شكر: عبد الوهاب بن يوسف بن إبـــراهيم الســـلار بقـــراءة إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي.

ومن خطه وفي الأصل اختصره الخيضري ، ومنه نقلت. قاله يوسف شاهين سبط بن حجر ،ومـــن خطه نقلت . قاله شيخنا عبد الرحمن بن حسن ومن خطه نقل . والحمد لله رب العالمين . أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كذا وجدت ونقلت من الأصل الذي نقلت منه ،وأنا الفقير إلى الله أحمد بن إبراهيم بن حمد بـــن عيسى . والأصل الذي نقلت منه منقول من خط الشيخ عبد الرحمن بن حسن فيمـــا يظهـــر . والله سبحانه أعلم].

ش :

عبد الرحمن بن حسن من علماء الدعوة النجدية صاحب كتاب" فتح المجيد". والمؤلف انتهى بقوله : قد تمت الكتابة في شهر رجب ... إلخ ، لكن هذه سماعات يذكرها العلماء رحمهم الله على حواشي الكتب، فيذكر كل من سمع هذا الكتاب أنه سمعه عن شيخه ، وشيخه سمعه عن شيخه ، وهكذا إلى أن يصل إلى المؤلف.

وذكر الناسخ – ابن عيسى – رحمه الله - ،وهو من علماء نجد وله جهود في نسخ الكتب الخطية ، وله جهد في نسخ كتب السلف، ومن الكتب التي نسخها : شرح العمدة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – وكذلك أيضاً هذه العقيدة.

والخلاصة من ذلك أن هذه السماعات يعلقها العلماء رحمهم الله على مدوناتهم ، ووجدت هذه السماعات مكتوبة بحواشي الكتاب . وكل يقول سمعته أو قرأته على شيخي وشيخي سمعه من شيخه إلخ، فاجتمعت هذه السماعات، ومن نقل هذا الكتاب نقل مثل هذه السماعات التي على حواشي الكتاب.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

* * *